

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ



الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل ط1: 181535095613

رقم التسجيل ط2: 212100483225

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1830/1519

بعنوان:

أهل الذمة وأدوارهم الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر العثمانية

إعداد الطالبتين:

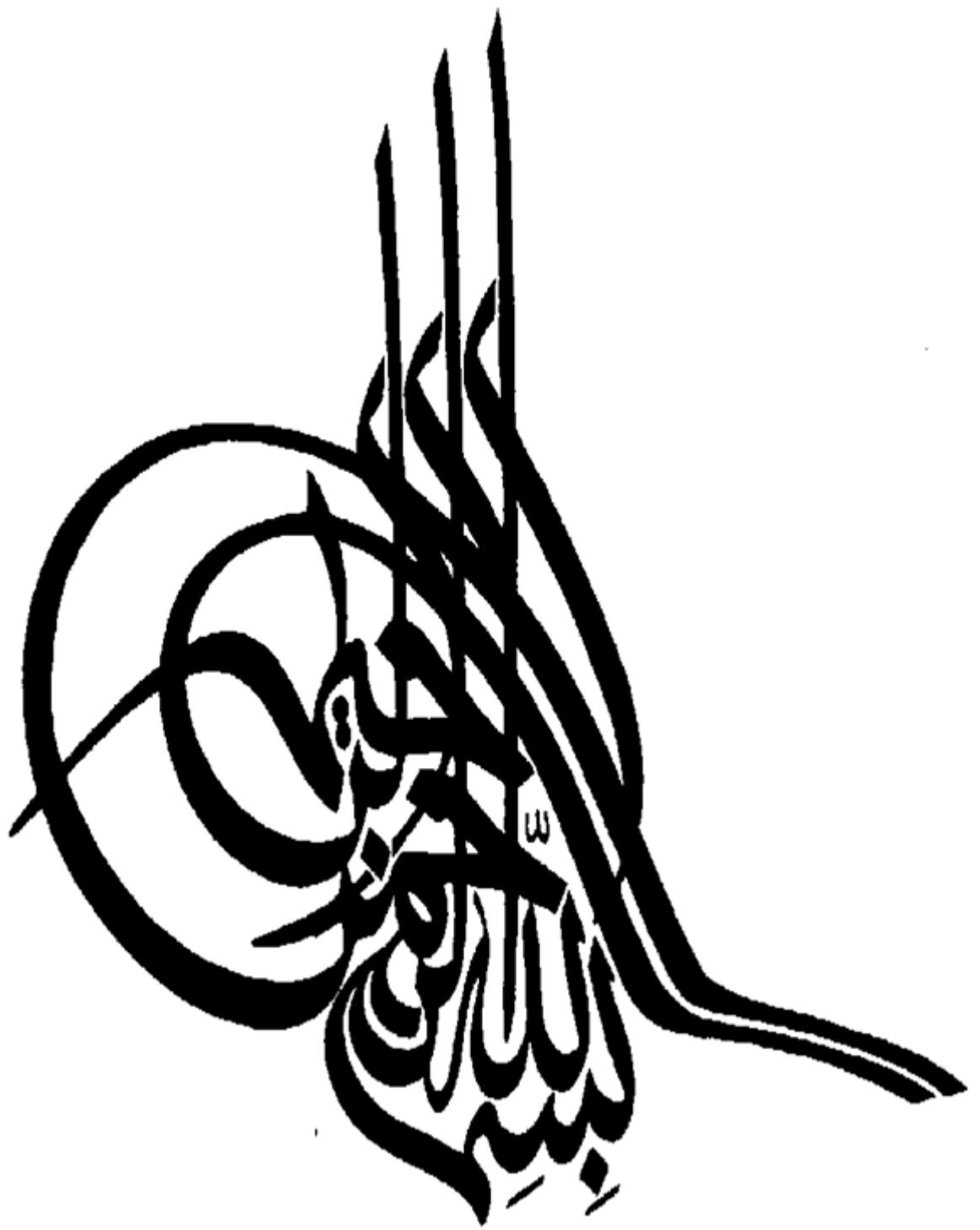
جهيدة كريم - حورية خوان

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	منى صالحى	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	رئيسا
2	كمال بيرم	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	يعيش محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1442هـ/1443هـ - 2022/2023م



** شكر وتقدير **

قال الله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ سورة ابراهيم الآية -07-

أولا وقبل كل شيء نشكر الله عز وجل الذي أعطانا القدرة لإنجاز هذا العمل "فلك

الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك".

وبكل عبارات التقدير والاحترام، وبكل كلمات الشكر والامتنان نتقدم بتحياتنا الخالصة

إلى الأستاذ المشرف الدكتور: "كمال بيرم" على المساعدة الكبيرة التي قدمها

وتوجيهاتها البناءة ومرافقته لنا في كل خطوة من خطوات إنجاز هذا العمل،

فشكرا جزيلا لك

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة المسيلة

وإلى كل من ساعدنا ولو بالكلمة الطيبة من قريب أو من بعيد

فإليكم جميعا: شكرا.. ووفاء.. ودعاء موصولا لكم.

** إهداء **

إلى من لا يمكن للكلمات أن تنفي بحقها ولا للأرقام أن تحصي فضائلها، أمي الكريمة
أدامها الله لي.

إلى من أحمل اسمه بكل فخر والدي العزيز حفظه الله

إلى إخوتي وأخواتي رياحين حياتي

ومن مهدوا الطريق أمامي للوصول إلى هذا المستوى.

...أهديهم هذا العمل المتواضع

** إهداء **

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح والدي التي صعدت إلى السماء الذي كان له
الفضل في وجودي

إلى من رباني وعلمي، والذي فقدت بفقده وطننا والدي العزيز رحمة الله عليك
وإلى من حملت بي وهنا على وهن وإلى من فتحت عيني عليها أمي أطال الله في
عمرها

إلى مؤنستي وغاليتي وشمعة حياتي رشي
إلى من شجعني ودفعتني بقوة لإكمال الدراسة زوجي العزيز حفظه الله
إلى إخوتي وأخواتي رياحين حياتي
ومن مهدوا الطريق أمامي للوصول إلى هذا المستوى.
...أهديهم هذا العمل المتواضع

قائمة الرموز والمختصرات:

1- باللغة العربية:

د ط: دون طبعة

د. ب: دون مكان طبع

د. ت: دون تاريخ

ج: الجزء

ط: الطبعة

تر: ترجمة

تع: تعريب

ص: صفحة

هـ: هجري

م: ميلادي

page:P



مقدمة

مقدمة:

لقد عرفت الجزائر أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م تطورات مهمة، وأحداثا متعددة تمثلت في الهجمات الاسبانية على السواحل الجزائرية، وانضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية بالإضافة إلى هجرة الأندلسيين نحو الجزائر، وهذا ساهم في تنوع التركيبة العرقية للمجتمع الجزائري، وأصبحت الجزائر مكان تعايش مختلف الأعراق والديانات وفي هذه الدراسة سنقوم بدراسة إحدى فئات المجتمع الجزائري والمتمثلة في أهل الذمة، الذين كان لهم دور مهم في تسيير الأحداث في الجزائر خلال العهد العثماني، ولقد ارتبط تسمية أهل الذمة عند قيام الدولة الإسلامية، حيث تم وضع أحكام وتعاملات تنظم علاقة المسلمين مع غيرهم من اليهود والنصارى، وأطلق المؤرخون على فئة أهل الذمة عدة تسميات منها "المعاهدون" و"الرعايا غير المسلمين" أو "الذميون" أو "الفرنجة". فكان وجود أهل الذمة في الجزائر خلال العهد العثماني له دور اقتصادي واجتماعي.

وفي هذا السياق يندرج موضوع دراستنا "أهل الذمة وأدوارهم الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر هد العثمانية". لذلك كان اختيارنا لهذا الموضوع نتيجة دوافع ذاتية وموضوعية في آن واحد، تمثلت في الآتي:

أسباب اختيار الموضوع:

إن من أسباب اختيارنا الموضوع هو رغبتنا في دراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، واهتمامنا بالدراسة الاجتماعية لمعرفة حبايا أهل الذمة في الجزائر العثمانية وكذلك الرغبة في التعرف على الدور الاقتصادي والاجتماعي لأهل الذمة في الجزائر خلال العهد العثماني.

- تسليط الضوء على الأساليب التي انتهجها اليهود والنصارى في فرض مكانتهم بالمجتمع الجزائري.

- إبراز مدى تسامح الشريعة الإسلامية والأتراك العثمانيين مع أهل الذمة وتفنيد ما روجت له الدراسات الغربية في تشويه المسلمين والأتراك العثمانيين.

- ميل المؤرخين في دراساتهم إلى الجانب السياسي والعسكري وإهمالهم جزئيا للجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي.

الإشكالية:

- ما مدى طبيعة العلاقة بين أهل الذمة والمجتمع الجزائري؟ هل كان لليهود تأثير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري؟

- إلى أي مدى أثر التواجد اليهودي والمسيحي في المجتمع الجزائري؟

- هل كان للمسيحيين تأثير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية؟

المنهج المتبع:

نظرا لطبيعة الموضوع فإنه قد استعملنا في دراستنا لهذا الموضوع بالمنهج الوصفي التحليلي فالمنهج الوصفي من خلال تتبع الأحداث التاريخية ووصفها وصفا دقيقا، أما المنهج التحليلي فمن خلال تحليل دور اليهود والمسيحيين الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر العثمانية.

خطة البحث:

من أجل الإجابة على موضوع دراستنا ارتأينا تقسيم الدراسة إلى مقدمة ومدخل وفصلين عاجلنا فيهم إشكالية الموضوع ثم خاتمة تضمنت حوصلة لما تم تقديمه في البحث ففي المقدمة قمنا بتعريف موضوع البحث وبيننا أسباب اختيارنا له إضافة إلى ذكر أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها وذكر الخطة المتبعة أما في المدخل فقمنا بتقسيمه إلى عناصر فتناولنا فيه تكوين المجتمع الجزائري على أساس جغرافي ثم على أساس عرقي ويلييه التقسيم على أساس ديني وقد ارتأينا تقسيم الفصل الأول الذي حمل عنوان الدور الاقتصادي والاجتماعي لفئة اليهود إلى مبحثين المبحث الأول تحت عنوان الدور الاقتصادي لليهود تناولنا فيه الصناعة وأهم الحرف وكذلك التجارة الداخلية والخارجية أما المبحث الثاني فكان بعنوان الدور الاجتماعي لليهود فوضحنا فيه مكانتهم الاجتماعية في المجتمع الجزائري وعلاقتهم المختلفة أما الفصل الثاني كان موسوما بالدور الاقتصادي والاجتماعي للمسيحيين قسمناه إلى مبحثين المبحث الأول تناولنا فيه الدور الاقتصادي للمسيحيين ذكرنا فيه أهم الصناعات والحرف التي مارسها المسيحيون والتجارة الداخلية والخارجية التي قاموا بها أما المبحث الثاني فكان بعنوان الدور الاجتماعي للمسيحيين "الأسرى" تناولنا فيه وضعية الأسرى إضافة إلى ذكر أهم المهام التي كانوا يقومون بها ولقد قمنا بإنهاء هذه الدراسة بخاتمة كانت عبارة عن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال عملية البحث في هذا الموضوع.

المصادر والمراجع:

الإجابة على هذا الموضوع اعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع من بينها:

- كتاب وليام شالر بعنوان مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر يعتبر مصدر مهم لما تناوله من أحداث ووقائع في الجزائر خلال الفترة العثمانية.
- كتاب كاثكارث بعنوان مذكرات أسير الداوي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب، حيث كان أسير لدى الداوي قدم لنا معلومات حول الحياة التي يعيشها الأسير في الجزائر
- كتاب فوزي سعد الله بعنوان يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ويعتبر أهم مرجع اعتمدنا عليه باعتباره تناول موضوع اليهود بجميع حيثياته

- مذكرة بوشيبة ذهبية بعنوان اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية.

الصعوبات:

لا يكاد يخلو أي بحث علمي من الصعوبات بحيث تعتبر القراءة التحليلية المصادر والمراجع من بين المراحل الشاقة في إنجاز البحث وانتقاء المادة العلمية ومن بين هذه الصعوبات صعوبة الحصول على المصادر الخاصة بفترة الجزائر العثمانية صعوبة قراءة أكبر عدد من الكتب الخاصة بهذه الفترة تكرار المادة العلمية في جميع المصادر والمراجع المعمول بها في هذا البحث ورغم هذي الصعوبات والعراقيل إلا أننا حاولنا إتمام هذا العمل على أكمل وجه بفضل الله تعالى وبمساعدة المشرف ثانياً.

الفصل التمهيدي:

فئات مجتمع الجزائر العثمانية

1- (سكان المدن والأرياف)

2- أهل الذمة من اليهود والنصارى)

يتكون المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني من عدة فئات مختلفة على أساس جغرافي وعرقي وأساس ديني.

أولاً: (سكان المدن والأرياف)

1- سكان المدن:

عرف المجتمع الجزائري العديد من الفئات التي تسكن المدن وهي كالتالي:

1-1- فئة الأتراك:

كانوا يشكلون إحدى الفئات في مدينة الجزائر، خاصة بعد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية 1518 وأصبحت واحدة من ولاياتها، وقد تشكلت الثورة فئة الأتراك العثمانيين في الجزائر من الجند الانكشاري، ومن المتطوعين الذين أرسلهم السلطان العثماني سليم الأول 1520/1512 إلى خير الدين بربروس¹، ولقد كانوا يشكلون طائفة مغلقة منعزلة عن المجتمع الجزائري متمسكة بلغتها التركية ومذهبها الحنفي تخضع لنظام فضائي خاص ولها امتيازات خاصة وكانوا يرتدون الثياب المطرزة بالذهب ويحملون السلاح فلا يحق للمزور أن يحجزهم². ينتشر الأتراك العثمانيون في المدن الجزائرية التلية والهضبية بأعداد متفاوتة، حيث قدر بوتان عددهم سنة 1808 بعشرة آلاف نسمة، أما أبو القاسم سعد الله فقدّر عددهم بأثني عشر ألف نسمة، ثلاثة آلاف منهم يتمركزون بمدينة الجزائر، وبالتالي شكلوا على مدار الفترة العثمانية أقلية اجتماعية، لكنها هي الحاكمة بدون منازع، لأنها سيطرت على الإدارة والتسليح، وكانت تختلف أصولهم، فمنهم الكريتيليوالألباني والأناضولي إلا أنهم يشتركون في النسبة السياسي، والانتماء إلى سياسة عائلة آل عثمان³.

1-2- الكراغلة:

تكونت هذه الشريحة نتيجة زواج أفراد الجيش التركي بنساء البلاد، وظهرت لأول مرة في المدن التي تمركزت بها الحاميات التركية وهي الجزائر، وتلمسان، ومعسكر ومستغانم، وقلعة بني راشد، ومازونة، ومليانة، والمدية، والقليلة، وبسكرة، وقسنطينة وعنابة، كما يبدو أن ظهور العنصر الكرغلي كفئة مستقلة ومتميزة كان متأخراً، حيث يعود أول ظهور لهذه الفئة إلى سنة 1596م⁴.

¹ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2006، ص 60.

² - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 375.

³ - بليروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في دار أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، إشراف بلقاسمي بوعلام، جامعة وهران، 2008، ص 113.

⁴ - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، مقارنة اجتماعية، اقتصادية، أطروحة دكتوراه، إشراف مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 2001، ص 15.

ولقد أصبح الكراغلة مع مرور الزمن يقومون بدور الوساطة بين الحكام والمحكومين، ولعبوا دورا بارزا في تاريخ البلاد خلال العهد العثماني، وقد عاش الكراغلة في بداية عهدهم كبقية العثمانيين، فكانوا يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها آباؤهم¹.

كما أنهم كانوا يشكلون طائفة متميزة في المدن، فمثلا في تبسة كانوا يشكلون العنصر المهيمن من حيث العدد، ومن حيث النفوذ فكانوا يملكون كل الأراضي المحيطة بالمدينة، ولا يقتصر وجودهم في المدن كما هو الحال بالنسبة للأتراك، بل كانوا متواجدين في كل الأرياف حيث يعود أصل كراغلة الأرياف إلى أولئك الذين طردوا من مدينة الجزائر أثناء تمردهم على السلطة التركية في سنة 1629².

1-3-الأعلاج:

وهو لقب أطلق على المسيحيين الذين أسلموا وأصبحوا يتمتعون بنفس الامتيازات التي يتمتع بها الأتراك، وترتب عن ذلك حضورا قويا لهذا العنصر في صفوف الإنكشارية، وقد ارتقى العديد من الأعلاج إلى أعلى المناصب في السلطة، وهيمنوا على صف القيادة، حيث أحصى هايدو أحد عشر قائدا من الأعلاج مقابل ثمانية من الأتراك واثنان من العرب وواحد من الكراغلة³.

1-4- فئة الحضر:

تشكل طبقة الحضر من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية وما انضم إليها من أندلسيين وأشرف وقد تميزوا بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز، مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة ويشغل أفرادها في المهن الصناعية ويتولون وظائف السلك القضائي⁴. ولقد كانت هذه المجموعة تشكل بوتقة انصهار بالنسبة لبقية العناصر التي كانت من جيل لآخر " تتبدل" فأبناء الكراغلة كانوا يعدون من البلدية، وهذا ما جعل نسبتهم ترتفع مع مرور الزمن حتى صاروا يشكلون في أواخر العهد العثماني أغلبية السكان، ولقد لعبت البلدية دورا مميزا في الوظائف الحضرية بمدينة الجزائر حيث أشرفوا على أهمية هيئة في تسيير المدينة، ألا وهي مؤسسة مشيخة البلد⁵.

1- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق، ص 123.

2- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم الشرعي، المرجع السابق، ص 358.

3- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1695-1671)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 147.

4- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 97.

5- أمين محرز، المرجع السابق، ص 99.

1-5- فئة البرانية:

تتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر، وقسنطينة، وتلمسان، وغيرها للإقامة والعمل، فمنهم البساكرة، والجيجليون، والأغواطيون، والمزابيون والقبائل العبيد، ولقد اختصت كل مجموعة بمهام وأعمال تقوم بها تحت إشراف الأمين العام الذي يختاره البايك¹. فالأغواطيون اشتهروا بالقيام بأعمال النظافة، وأما البساكرة فاشتغلوا بالحمالة ونقل الأغراض والحراسة، والقبائل بأعمال البناء، والزواج بخدمة المنازل².

2- سكان الريف

1-2- قبائل المخزن:

هي مجموعات سكانية لها صيغة فلاحية وعسكرية وإدارية لما تقوم به من أعمال وهي تجمعات سكانية تعمرية ذات تكوين اصطناعي فمنهم العبيد والكراغلة وعرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال، وتشكل قبائل المخزن حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف والحكام في المدن وأصبحت في أواخر العهد العثماني تؤلف رابطة متينة تشد المحكوم إلى الحاكم وتبقي تماسك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الريف³. ويتمثل دور قبائل المخزن الموالية للسلطة الحاكمة في جمع الضرائب المقررة على الأهالي ومساعدة الجيش في إخماد حركات التمرد والعصيان التي كانت تقوم بها بعض القبائل وفي المقابل كانت قبائل المخزن تتمتع ببعض الامتيازات، كإعفاءها من دفع الضرائب ماعدا الضرائب التي أقرها الإسلام، كالزكاة والأعشار⁴. كان العدد الإجمالي لجماعات المخزن بمختلف أنواعها، يقدر بمائة وسبعة وعشرون⁵.

2-2- قبائل الرعية:

تتألف من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة للباييك والمقيمة بالدواوير والدرش والقرى المنتشرة في الجهات التي تراقبها قبائل المخزن، وتعتبرها فرق الحاميات التركية المتوجهة لجمع الضرائب، ولقد تعرضت قبائل

1- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 99.

2- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص43.

3- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 105-106.

4- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص 82.

5- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 73.

الرعية للاضطهاد والإكراه والقسر والاستغلال المستمر من طرف رجال البايك وفرسان المخزن فاستخلصت منه الضرائب الثقيلة وأرغمت على بيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة ومنعت من الاتصال بالقبائل المعادية للباييك¹ كما كانت تفرض عليها أعمال السخرة وكانت وضعيتها أسوأ من وضعية تلك القبائل التي لم تخضع للسلطة المركزية لأنها تقطن مناطق وعرة تصعب على القوات التركية أن تتواجد فيها بصفة دائمة². ولقد بلغ عدد جماعات قبائل الرعية بمائة وأربعة جماعة³.

2-3- قبائل الأحلاف المتحالفة:

كانت تمثلها الأسر الإقطاعية الكبيرة، كأسرة المقراني بمجانة، وبن حبيليس، وبن قانة، وبوعكازبالزيان وغيرها، وقد كانت هذه الأسر تتمتع بنوع من الاستقلال، كما يمكن إدراج ضمن هذه الصفة الأسر الدينية التي كانت تقوم بدور الوساطة بين القبائل المتمردة والسلطة الدائمة، وكانت تحظى باحترام كبير لدى الأهالي⁴. كانت تتعامل مع البايك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين، الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين على نفوذهم الديني أو كفاءتهما الحربية وأصالة نسبهم.

2-4- قبائل الممتنعة:

تتكون من القبائل القاطنة في المناطق الجبلية الحصينة كالباور، وجرجرة، والونشريسوطرارة، وشمال قسنطينة والأوراس، أو التي تجوب جهاز الهضاب الوهرانية ومناطق الأطلس الصحراوي، ولقد قدر الفرنسيون عددهم عام 1830 بـ 32000 نسمة من مجموع السكان الإجمالي ونظرا لابتعاد هذه المجموعات السكانية عن نفوذ الحكام وعدم اعترافها بسلطتهم فإن حكومة الداوي حاولت أن تحد من استقلالهم وترغمهم على مهادة السلطة الحاكمة⁵.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 107.

² - بن عبد المولى غلال، بن وليد يزيد، التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، مذكرة ماستر، إشراف جعفري مبارك، الجامعة الإفريقية، أحمد درارية، أدرار، 2018، ص 51.

³ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق، ص 73.

⁴ - أرزقي شويتام نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، المرجع السابق، ص 83.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 109.

ثانيا: (أهل الذمة من اليهود والنصارى)

1-تعريف أهل الذمة:

لغة:الذمّ اللوم، وهو خلاف المدح، والذمة بالفتح البئر قليلة الماء، والذمام الحرمة، والذمة العهد لأن نقضه يوجد الذم وتفسر بالأمان والضمان... وتقال للمعاهد من الكفار (ذمي) لأنه أومن على حاله ودمه بالجزية¹. وفلان له ذمة أي حق في حديث علي كرم الله وجهه ذمتي رهينة وأنا به زعيم أي ضمان وعهدي رهن في الوفاء به... وأهل الذمة هم أهل العهد وهم الذين يؤدون الجزية² ونقول رجل ذمي معناه رجل له عهد. وقال الجوهري: " الذمة أهل العهد" وقال أبو عبيدة: " الذمة الأمان في قوله"، وقوم الذمة معاهدون وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأماهم³.

اصطلاحا: أهل الذمة هم النصارى واليهود الذين يعيشون في بلاد المسلمين وأطلق عليهم اسم أهل الكتاب وهم يختلفون عن عبدة الأوثان وهذا ما ميزهم وسمح لهم بالعيش في بلاد المسلمين مع الالتزام بدفع الجزية، وإذا واطبوا على دفع الجزية ضمنوا الحماية من الدولة الإسلامية في ما لهم ودمهم⁴.

ومصطلح أهل الذمة لا يقتصر على أهل الكتاب فقط بل شمل الصابئة⁵ والمجوس⁶ بالرغم أنهم ليسوا كتابيين إلا أنه تم إدراجهم ضمن أهل الذمة ويجوز العهد معهم ولا يمكن الزواج منهم وأكل طعامهم⁷. فأجمع الفقهاء أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس فقد ذكر الشافعي ان عمر بن الخطاب قال عن المجوس: " ما أدري كيف أصنع في أمرهم"، فأخبره عبد الرحمان بن عوف أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " سنوا بهم سنة أهل الكتاب"⁸.

¹- أبي الفتح ناصر الدين المطري، المغرب في ترتيب المغرب، تح: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط1، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سورية، 1979، ص 307.

²- الجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالا وصغارا ينظر: ابن القيم الجزية أحكام أهل الذمة، مج1، ط1، الرمادي للنشر، الدمام، السعودية، 1997، ص119.

³- ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار المعارف، ط1، القاهرة.دت.

⁴- سلوى علي ميلاد، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1983، ص 07.

⁵- الصابئة صبا الرجل إذ مال وزاغ فيحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزينغهم عن نوح الأنبياء ينظر: السيد عبد الرزاق الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، 1955، ص15.

⁶-المجوس معربة أصلها منج كوش أول من دان بدين الجوس والمجوسية تقوم على النور والظلمة ينظر:ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص4140.

⁷- شرفاوي أيمن، سالي ياسين، أهل الذمة في الجزائر خلال العهد العثماني "اليهود أنموذجا"، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019-2020، ص 13.

⁸ - ابن القيم الجزية، أحكام أهل الذمة، تح: أبي البراء يوسف بن أحمد البكري، ط1، رفاذي للنشر، دمام، المملكة العربية السعودية، 1997، مج1، ص79 ص 83.

وقد وفد اليهود إلى الجزائر منذ العهد الفينيقي وبعد الفتح الإسلامي، وازداد عددهم بعد سقوط غرناطة، بسبب تسامح الدين الإسلامي¹. (سوف نتطرق إليهم في الفصل الأول).

بالإضافة إلى النصارى الذين وفدوا إلى الجزائر خاصة خلال القرن 16 من بلدان أوروبية وأخرى أمريكية، فمنهم الأسرى الذين شكلوا الفئة الكبرى والأحرار خاصة التجار حيث نجد أن العامل الاقتصادي لعب دورا في وجود النصارى بالجزائر خلال العهد العثماني². (سوف نتطرق إليهم بالتفصيل في الفصل الثاني)

2- فئة اليهود: تعود أصل كلمة اليهود حسب علماء اللغة إلى أصل أعجمي وهو أحد أبناء يعقوب يهوذا، فعربت الذال فسموا يهود وتم تغيير الذال دالا، وأكثر من ذلك فكلمة يهود معرفة بالألف واللام فيها زائدة واستدل بذلك العرب بقول الرسول ﷺ: "فتحلف لكم يهود"³.

وقيل سموا يهودا من الهوادة وهي المودة لبعضهم البعض وقيل من التهود وهي التوبة وقال أبو عمر بن العلاء لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة وقد أطلقت أسماء أخرى على اليهود مثل: العبرانيون نسبة لسيدنا إبراهيم الملقب إيرام العبراني لعبوره نهر الفرات أو الأردن، بنو إسرائيل نسبة لسيدنا يعقوب عليه السلام، أهل الكتاب لأنهم يؤمنون بكتاب الله التوراة المنزل على سيدنا موسى عليه السلام، المغضوب عليهم لأنهم علموا الحق واخلفوه⁴.

واسم اليهود أشتمل من بني إسرائيل لأن الأول يطلق على كل من اعتنق اليهودية والثاني يخص فقط بنو إسرائيل ذرية يعقوب عليه السلام قد يكون يهود أو نصارى أو مسلمين فاليهودية قبل التحريف هي ديانة توحيد تقر بوحدانية الله عز وجل وكانت بداية الانحراف عندما طلبوا من سيدنا موسى عليه السلام أن يوربهم الله فقالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: 153] ثم عبادتهم للعجل دون الله، وبعد وفاة سيدنا موسى عليه السلام أخذوا يحرفون دين الله فقالوا: ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30] إضافة إلى تحريف نصوص التوراة، ولم يكتفوا بذلك بل أضافوا كتب مقدسة مثل التلموذ⁵ وإن فكرة الإيمان بالله الواحد تقبلتها شعوب كثيرة إلا جماعة بنو إسرائيل، وظلوا

1- شرفاوي أمين وسالي ياسين، المرجع السابق، ص13.

2- عطية الله راضية، المسيحيون بمدينة الجزائر وعلاقتهم بالسلطة والمجتمع خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2019_2020، ص13.

3- شرفاوي أمين، سالي ياسين، المرجع السابق، ص15.

4- براهيمى عليمه، ذواوي دنيا، الدور السياسي والاقتصادي لليهود بالجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2020_2021، ص 07.

5- التلموذ هو القانون أو الشريعة اليهودية الشفهية التي كان يتناقلها الحاخامات من اليهود سرا جيلا بعد جيل ينظر: ناصر بن عبد القفاريو ناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط1، دار الصميمي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1992، ص 20.

وثنيين قبل موسى، وظلت راسخة في أذهانهم وحتى بعد خروجهم من مصر وطلبوا من موسى ان يجعل لهم صنما للعبودية ﴿وَحَاوَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَيَّ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَيَّ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالُوا لَنْ نَكْفُرَ بِمَا نَكْفُرُونَ﴾ [الأعراف: 138]، فالإله عند اليهود يقوم بأعمال وحركات الإنسان يأكل ويشرب ويصارع التين وتصوره التوراة في مواضع أخرى حزين بيكي¹.

وزعمهم أن الله عز وجل تعلم التلمود مع الملائكة واللعب مع الحوت وأنه جل وعلا بيكي لما حل باليهود من التعاسة، ويزعم اليهود أنهم شعب الله المختار وأن الجنة لا يدخلها إلا اليهود وأرفع من الملائكة وألا يجوز لليهودي أن يشفق أو يرحم أو يعين شخصا غير يهودي وإذا وقع في حفرة سدها عليه. وهذه بعض مبادئ التلمود التي جعلت اليهود أعداء الإنسانية والخير والتسامح².

كانوا يشكلون العنصر الأهم بين الدخلاء من حيث قدم وجودهم في البلاد ومن حيث دورهم الاقتصادي الهام الذي لعبه، تدعم عددهم بفضل الهجرات اليهودية من شبه جزيرة ايبيريا بسبب التعصب الديني المسيحي، ولقد كانت أهم الهجرات في سنوات 1387-1391-1492. وهذه الأخيرة هي الأهم التي جاءت بعائلات يهودية من ليفورنة خاصة³.

إن العدد الإجمالي لليهود من الصعب أن نقدم رقما محددًا لعددهم لكنه عرف ارتفاعا في مدينة الجزائر خلال القرن 17 ونصف القرن 18⁴، حيث ذكر لنا Masson أنه في إحصاء تقديري لسكان مدينة الجزائر عام 1618، كان العدد الإجمالي 160000 نسمة منهم 97000 من الأهالي و30000 من الأتراك، و10000 من اليهود⁵.

إلا أن المصادر الأوروبية تباينت في تقدير عدد اليهود ولعل هذا التباين راجع إلى اختلاف ملاحظاتهم إذ كان اليهود شديدي الحرص على التخفي وعدم التصريح عن أعدادهم الحقيقية، إلا أن ذلك لم يمنع الأسير

¹ ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ط1، دار القلم، دمشق، سورية، 1996، ص 198.

² سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1، دار أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص 101-103.

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 361.

⁴ أرزقي شويتام، المرجع السابق، 65.

⁵ كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير، إشراف دحو فغور، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2008، ص 27.

هايدو من إحصاء 150 منزلا يهوديا بمدينة الجزائر أواخر القرن السادس، في حين ومع مطلع القرن الثامن عشر قدر شاو عددهم بـ 15 ألف يهودي مقابل 100 ألف مسلم¹.

وهنا نلاحظ أن عدد اليهود قد تزايد في القرن 18م، لاسيما في النصف الأول منه ولعل ذلك يعود إلى أعداد الوافدين من أوروبا خاصة من ليفورن، لكن النصف الثاني من القرن 18م، عرف تراجعاً في عدد يهود الجزائر، وذلك راجع إلى التغيرات التي عرفها البحر المتوسط، خاصة تراجع نشاط الأسطول البحري للجزائر الذي كان يوفر المادة الخام للأنشطة اليهودية، وتقصد بذلك الأسرى والغنائم التي كانت تباع فتوفر سلعا يتاجر بها اليهود².

أما عن مكان الإقامة في المدينة فإن اليهود كان لهم حي خاص يعرف بجارة اليهود إلا أنه لا يدل على الاتفاق الاجتماعي التي أشارت إليها أغلب المصادر الأوروبية المعتمدة في هذه الدراسة، بل يدل على مستوى الحرية التي تمتعوا بها فقد سمح لهم بالتجمع في مكان واحد باعتبارهم مجموعة عرقية واثنية³.

كما احتضنت عدة مدن جزائرية مثل قسنطينة والمدية وبوسعادة عائلات يهودية وانتشرت بعض العائلات في المناطق الريفية، لكن لم يكن يسمح لهم بامتلاك الأراضي ولعل هذا ما يفسر اهتمامهم بالتجارة وممارسة الأنشطة الحرفية.

فكثير من هؤلاء اليهود قد مارسوا عدة أنشطة ثانوية غير مربحة فتجدهم تجار متجولين أو حدادين أو خياطين وما شابه ذلك⁴.

ولعل أكبر المناطق التي استقر بها اليهود هي مدينة تلمسان ووهران والجزائر أين قطن بها عدد كبير من يهود الأندلس وقاموا بفرض أنفسهم على اليهود الأهالي وبجاية وورقلة ومجانة ولآشبيرون وندرومة والمسيلة وتاهرت، ومستغانم، وهنينة، وتوجر وبسكرة، وطبنة، وبلزمة وتوقرت، والزاب، وتوات والواحات الصحراوية، والهضاب العليا، وتنس، وقسنطينة، ومليانة⁵.

1- نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830)، من خلال سجلات المحاكم الفرعية، مذكرة ماجستير، إشراف عائشة غطاس، كمية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2005، ص 60-61

2- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 27-28.

3- نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 92-93

4- عبد الجليل رحومني، "أوضاع أهل الذمة في الجزائر العثمانية من خلال المجلة الإفريقية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، ع21، ص 503.

5- فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14-15 ميلادي، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار-الجزائر، د ت، ص 58.

3- فئة المسيحية (النصارى):

النصارى تطلق النصرانية على الدين الذي أتى به عيسى بن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل، فتبنى النصرانية على ما يلي: . الثالوث أو التثليث وهو تجسيد كل من الأب والابن وروح القدس في مؤلف واحد وهو الخالق. الابن صفة بشرية فقد استقر المسيح في بطن أمه مريم العذراء وتم ميلاده وعندما شب دعا الناس إلى عبادة أبيه وعبادته.

فاللاهوت يحدد أن الإله واحد في ثلاث (الأب، الابن، روح القدس) كل واحد قائم بذاته طبيعتهم واحدة وجوهرهم واحد أزليون على حد سواء¹، متساوون في القدرة والمجد، وأن بعض الأعمال تنسب إلى الأب مثل الاختيار والدعوة، والبعض تنسب إلى الابن مثل الفداء، وأخرى تنسب إلى روح القدس مثل التجديد والتقديس².

ويسمى أتباعها بالنصارى نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين أو إشارة لنصرتهم لسيدنا عيسى عليه السلام " قال الحواريون نحن أنصار الله" الصف 14 والنصرانية تعتبر امتدادا لليهودية لأن عيسى عليه السلام أرسل إلى بني إسرائيل ليحل ما حرمه بنو إسرائيل لقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [آل عمران : 93] ولقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: 48-49]³.

إذا نجد أن المسيح بن مريم ما هو إلا رسول إلى بني إسرائيل يدعو إلى وحدانية الله والنصرانية ديانة سماوية تعرضت إلى التحريف مثل التوراة.

يشكلون إحدى العناصر المهمة داخل المجتمع الجزائري وتضم هذه الفئة التجار الأجانب والقناصل وتندرج تحت فئة الأحرار إلى جانب الأسرى الأوروبيون وأغلبهم من الإسبان والبرتغال والإيطاليون والألمان⁴، وهم في الغالب أقلية ويستقرون في المدن الجزائرية بشكل مؤقت إذ بمجرد ما ينتهون من أعمالهم يعودون إلى بلدانهم الأصلية وبالتالي وجودهم كان مقصورا على أداء مهامهم التجارية والدبلوماسية والإدارية والدينية⁵.

1 - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، لبنان، مج10، ص 197-198.

2- سعود بن عبد العزيز الخلف، المرجع السابق، ص 194-195.

3- ناصر بن عبد الله القفاري، ناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط1، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1992، ص 64-65.

4- هشام بوبكر، عياشي بلقاسم، "جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية"، مجلة الآفاق العلوم، جامعة الخلفة، ع 07، 2017، ص 295.

5- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 138.

كما كانت هذه الفئة تعيش في معزل عن باقي السكان ولا يخضعون للمعاملات المالية والأحكام القضائية والقوانين المعمول بها في البلاد بحيث كانوا ينزلون في فنادق خاصة ويقيمون في أحياء منعزلة ويسكنون منازل خاصة بهم¹.

أما فيما يخص الأسرى فقد كان عددهم قليل بمدينة الجزائر وكانوا يحظون باحترام الأتراك ويكونون تحت حماية إحدى الدول الأوروبية التي تكون في حالة سلم مع حكومة الداوي²، ولقد قدم لنا هايدو إحصاءات حول عدد هذه الفئة، حيث ذكر لنا بأنهم حوالي 25 ألف أسير في مدينة الجزائر في أواخر القرن السادس عشر³. ولقد عرف هذا العدد المذكور ارتفاعا في القرن السابع عشر، إذ نجد خمسة وثلاثون ألف أسير، وذلك نتيجة الغزو البحري للجزائريين ليعرف بعد ذلك وخاصة أواخر القرن الثامن عشر، تراجعاً إذ لم يتجاوز ثلاث آلاف أسير، ويرجع السبب إلى التقهقر الذي عرفه الأسطول الجزائري والهيمنة المفروضة من الأساطيل الأوروبية، إضافة إلى مرض الطاعون الذي اجتاح الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر⁴.

لقد كانت الدولة الجزائرية تسمح للأجانب بشراء الأراضي منها وعلى رأسهم القناصل الذين اتخذوا منازل في مدينة الجزائر ومدينة تلمسان وغيرها من المدن الأخرى، والبعض من هؤلاء القناصل كانوا يقيمون في الفنادق بالحي التجاري الذي يقطنه المسيحيون، ولقد قام القناصل بالثبيد في أراضي الريف منازل وحدائق على النمط الأوروبي لقضاء فصل الصيف فيها بعيداً عن المدينة المكتظة بالسكان، فاختاروا إقامتهم خارج باب الواد، وفي مرتفعات مولاي الحسن، وخارج باب عزون⁵، أما عن التجار فأغلبهم كانوا يقيمون في فنادق وهي عبارة عن مباني كبيرة ملك للأشخاص، تضم فضاءات وساحات واسعة ودكاكين للكراء، ولتسهيل المعاملات التجارية بحثوا إلى تعيين وكلاء يمثلونهم ودولهم في حالة نشوب اضطرابات فإنهم بقوا مقيمين في إطار متفق مع القناصل والداوي⁶.

1- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 105.

2- ج. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 34.

3- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، المرجع السابق، 2012، ص 361.

4- هشام بوبكر، عياشي بلقاسم، المرجع السابق، ص 296.

5- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 49.

6- خديجة حالة، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف عبد الكريم بوصفان، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2013، ص 07.

أما عن فئة الأسرى فقد خصصت الجزائر خلال الفترة العثمانية أماكن لإقامة الأسرى، ألا وهي السجون التي أطلق عليها بانيم وتعني الحمام، كما أن الجزائر كانت تودع الأسرى في الحمامات ليلا، ومع تزايد عدد الأسرى وارتفاعه سعت الجزائر خلال لتخصيص مبان كبيرة لوضع الأسرى فيها وقد أسست السجون خلال القرن 16، ففي البداية كان عددها سجنين فقط هما السجن الكبير وسجن الباسطار، إضافة إلى عدة سجون أخرى مثل: سجن ترين، وسجن حمودي، وسجن الأوقاس ... وغيرهم¹.

¹ - رفيق تلي " السجون في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج 08، ع03، ديسمبر، 2022، ص86.

الفصل الأول:

اليهود ودورهم الاجتماعي والاقتصادي

في الجزائر العثمانية

المبحث الأول: الدور الاجتماعي

المبحث الثاني: الدور الاقتصادي

عرفت الجزائر فترات متعددة العديد من العناصر الوافدة إليها، واهتم المؤرخون بدراسة هذه الفئات، واختص البعض منهم بدراسة أهل الذمة، خاصة اليهود الذي يعود وجودهم إلى فترات ما قبل التاريخ وأهم هذه الفئات يهود الأهالي (التوشاييم) الذين انصهروا في المحيط الثقافي والحضاري والاجتماعي في الجزائر بحيث يصعب تمييزهم عن الجزائريين لولا اختلاف الدين والطبائع النفسية المكتسبة من التلمود، وإن عمق هذا الاندماج والانصهار أطلق عليهم الجزائريون بيهود العرب¹، واستمر توافدهم إلى مدينة الجزائر بصفة غير منتظمة خلال العهود الرومانية والوندالية والبيزنطية والفتوحات الإسلامية واستقروا بمختلف المدن الداخلية².

يهود "الميفوشيم"³ وهم من أصول إسبانية وبرتغالية هاجروا من شبه جزيرة أيبيريا بعد الطرد الإسباني سنة 1491 و1492 و1496، وتواصلت الهجرات اليهودية خلال القرنين 17 و18⁴، وينقسم هؤلاء إلى قسمين: السفارديم: وهم اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية بعد فتح المسلمين لها، وتكلموا اللغة العربية حتى القرن 13 ثم الإسبانية⁵، وهي الأصل العبري لمصطلح سفارد وتعني إسباني أو إسبانيولي، كما تعني فرانك التي تقابل في العربية لفظة الفرنجة⁶.

الأشكيناز: إن لفظة أشكيناز حسب الرواية التورانية اسم لأحد أحفاد نوح عليه السلام، أما الاشتقاق الحالي لهذه اللفظة فهو من كلمة أشكيناز بمعنى ألمانيا، وتطلق على اليهود الذين يعيشون في ألمانيا وفرنسا ومعظم أوروبا⁷، وقد التحقوا بالجزائر في النصف الثاني من القرن 16.

يهود ليفورنة: ويشكلون فئة عرقية وثقافية تنتمي جغرافيا وثقافيا إلى أوروبا واستقروا في الجزائر في العهد الحديث في وقت متأخر نسبيا من عمر الأيالة وبقي متذبذبا إلى غاية الاحتلال⁸. يقصد بهم اليهود الذين قدموا من تسكانة، خاصة مدينة ليفورنة وتمركزوا في المدن الكبرى واستقدموا معهم ثرواتهم وخبراتهم في معرف الأوربيين والملاحة

¹ - فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 143.

² - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 63

³ - الميفوشيم هي لفظ عبري تعني المطرودون، ينظر: كمال بن صحراوي الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، دحو فغور، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2007-2008، ص22.

⁴ - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص63.

⁵ - هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية، ط1، دار القلم، دمشق، 2002، ص39.

⁶ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص22.

⁷ - كمال بن صحراوي، المرجع نفسه، ص23.

⁸ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص146.

البحرية، واطلاعهم على السياسات الأوروبية واكتسابهم لصدقات قريبهم إلى مراكز القرار في أوروبا، وهو ما يستخدمونه في الأيالة ليحققوا نفوذًا سياسيًا¹.

المبحث الأول: الدور الاجتماعي

1- مكانة اليهود في المجتمع الجزائري

تمتع اليهود بمكانة هامة في الجزائر خلال العهد العثماني، فهم يعيشون مثل المسلمين وأسسوا صداقات مع عامة الناس وحظوا باحترام الحكام لهم وكان لهم مجلس خاص بهم " نيا إيمانيم" لحل مشاكلهم²، وتمتعوا بحرية ممارسة طقوسهم الدينية، وكانت لهم مدارس خاصة بهم للتعليم وأقيمت لهم محاكم وحاخامات ومقابر خاصة بهم، كما اعتبرت الديانة اليهودية هي الديانة الثانية في الجزائر بعد الإسلام ومارسها اليهود بحرية تامة، وخضعوا لقوانينها في أحوالهم الشخصية³.

كما أقام هؤلاء اليهود علاقات مع الحكام العثمانيين وذلك من خلال حصولهم على امتيازات وعدم دفعهم الضرائب وإن وجدت كانت قليلة وخصص لليهود أحياء يسكنون فيها وكانت تتوفر على كل متطلبات اليهود من مذابح ومعابد خاصة بهم⁴، كما كانت لهم حارة خاصة بهم تسمى بحارة اليهود (حومة اليهود)، في مدينة الجزائر وقسنطينة والبليدة وهذا يدل على مستوى الحرية التي تمتع بها اليهود في بلاد المسلمين ومن أهم المناطق التي استقروا بها (حارة اليهود، سبع اللويات، زنقة الجراية، زنقة البوزة)⁵، وقد كان لليهود دورا بارزا في السمسرة ولعب دور الوساطة في المعاملات التجارية، وهذا ما جعلهم يجنون ثروات طائلة، إضافة إلى أن اليهود كانوا يتعاملون مع الحكام الداوي والرياس⁶.

كما حرص اليهود في التمسك بعاداتهم وتقاليدهم إلا أنها طرأت عليها تغيرات بسبب تأثرهم بالمناطق التي هاجروا إليها ومن مظاهر تأثر اليهود في بلاد المغرب كان في اللباس والمعيشة والاحتفالات ... وبقوا محافظين على

¹ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 24.

² - شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 18-19.

³ - معوشي أمال، "ملامح من الحياة الاجتماعية والثقافية لليهود الجزائر خلال العهد العثماني 1516_1830"، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، مجلد 34، العدد 1، 2020، 769.

⁴ - عبد الجليل رمهوني، المرجع السابق، ص 502.

⁵ - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 92 ص 100.

⁶ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962. دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997، ص 75.

تلك العادات النابعة من الدين¹، وعاش اليهود في الجزائر حياة متماسكة ومنسجمة لمدية طويلة، ومن أهم العائلات اليهودية التي وجدت عائلة بن دحمان، بلخير، بن سعدية، بن سلطان، عبيد، عقيل، مرابطي وغيرها من العائلات²، فقد نظر العثمانيون إلى اليهود على أنهم جماعة متميزة لها ديانة وطقوس خاصة بهم لهذا تمتعوا بحرية الإقامة والسفر والتعليم والمحافظة على أملاكهم وحياتهم وكان ذلك مقابل دفع الجزية فيقول جو أو هابنسترايت: "...ويسدد كل واحد منهم ضريبة تقدر بريالين في الشهر"³ ويتولى إدارة أمور اليهود رئيس من أبناء الطائفة يعينه الحاكم يدعى المقدم أو الشيخ فهو يتولى رعاية مصالح الطائفة اليهودية كما يقوم بجمع الضرائب ودفعها للإدارة العثمانية، وإضافة إلى المقدم كان هناك مجلس للطائفة اليهودية⁴، ويتألف من أربعة أشخاص إداريين وأربعة مسؤولين عن الشؤون المالية وثلاث قضاة والرئيس أو المقدم غالبا ما يكون من الحاخامات الذين لديهم المكانة الديني والاجتماعية والثقافية لدى الطائفة اليهودية ويتولى هذا المجلس أمور اليهود الدينية والدنيوية⁵، ويعتبر منصب المقدم منصب حساس تنافست عليه العائلات اليهودية فهو يعتبر همزة وصل للحصول على النفوذ السلطة وأهم العائلات التي تقلدت هذا المنصب عائلة بوشارة، باكريوبوجناح ونتج عن هذا مؤامرات ودسائس للوصول إلى منصب المقدم، وقد وصلت إليه عائلة باكري، وكان لليهود مقابر خاصة بهم فيذكر أسير الداوي كاثكارت: "أما اليهود فلديهم عدة مقابر اشترى أرضها أجدادهم بأسعار باهظة، لا يزال أبناء هذه الطائفة يسددون أقساطها حتى اليوم"⁶ كما كان تشابه في العادات والثقافة بين اليهود والأهالي الجزائريين باستثناء يهود ليفورنة.

1-1- اللباس:

وجد تشابه في اللباس بين اليهود والأهالي الجزائريين فقد لبس اليهود نفس سروال "الساتاني" en satin والمعروف لدى المسلمين بسروال عرب أو سروال اللوبيه. وغطوا رؤوسهم بالطربوش أو الشاشية مثل المسلمين مع بعض الاختلافات الطفيفة في طريقة الارتداء، ولبسوا نفس جلابة المسلم سواء بيضاء أو سوداء، ونفس التطابق

¹ - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 100.

² - شرفاوي أمين، سالي ياسين، المرجع السابق، ص 51.

³ - ج. هابنسترايت، المرجع السابق، ص 32.

⁴ - د. محمد دادة، "جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليهود الجزائر في الفترة العثمانية"، مجلة عصور جديدة، العدد 10، 2013، ص 166-167.

⁵ - بوشيبه دهبية، اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016، ص 120.

⁶ - كاثكارت، مذكرات أسير الداوي كاثكارت فنصل أمريكا في المغرب، تر وتغ اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 86.

الذي عرفته المرأة اليهودية مع المرأة المسلمة مثل الفوطة الحريرية التي كانت تلفها خارج البيت أو الوشاح القطني التي تغطي به وجهها باستثناء العينين لتأثرها بالعادات الإسلامية¹ ويقول وليام شالر أن اليهود محبرون على لبس ثياب بيضاء أو سوداء².

ويذكر روزي وكاريت أن اليهود الذين عاشوا ضمن القبائل الجزائرية كانوا يلبسون نفس أنواع الثياب التي لبسها مضيفوهم، كما نجد أن مجموعة من اليهود بقيت محافظة على لمسة خاصة بهم مثل السفارديم الذين وضعوا طاقات خاصة بهم³، فكان يلبس اليهودي جببا ومعطفا ذو أكمام عريضة وحزام عريض وخناجر كبيرة وجميلة، وفي الشتاء يلبسون سراويل ضيقة عند الركب وأحذية ملونة ويضعون غطاء على الرأس مثل المسلمين، والمرأة اليهودية كانت أكثر حرية من المسلمات فكانت تفتش على باب منزلها حصير طوال اليوم ما عدا عندما تذهب إلى الحمام أو إلى السحرة أو إلى المدافن أو إلى الحدائق والأعياد العامة⁴.

1-2- الزواج عند اليهود:

إن الزواج مقدس في الشريعة اليهودية مثله مثل الديانات السماوية وذلك لدوره في الحفاظ على التراث الثقافي والاجتماعي لطائفة اليهود ومن أهم أركان الزواج التقديس كتابة العقد صلاة البركة والمهر وإعلان الخطبة وحث كتاب التلمود الطائفة اليهودية على الإنجاب⁵، وكان اليهود الجزائريون متمسكون بالمناسبات الدينية أكثر من اليهود في المناطق الأخرى واليهودي الجزائري يفكر بأنانية ومصالحته الخاصة حتى انه ينسى إلهه وإنسانيته⁶.

1-3- السكن:

سكن اليهود مختلف المدن الجزائرية ومنها العاصمة وتعايشوا مع الجزائريين في السراء والضراء وزاد التضامن خاصة بعد الطرد الاسباني فكان اليهود يتميزون بشوارعهم وامتحنوا تجارة الحلبي الذهب والفضة، الخياطة تصريف الأموال وفحص ومراقبة العملة إن كانت مزيفة أو لا وامتازوا بخبرتهم في العملات مما جعلهم يتمتعون بالثقة من الدولة في مراقبة أنواع العملات الداخلة لخزينة الدولة⁷.

1- فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص161-162.

2- وليام شالر، مذكرات وليام شالر فنصل أمريكا في الجزائر 1816_1826، تحق: إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص90.

3- معوشي أمال، المرجع السابق، ص769.

4- وليم سنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زبادة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، ص101.

5- شرفاوي أمين، سالي ياسين، المرجع السابق، ص54.

6- كاثكارت، المصدر السابق، ص183.

7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998، ص391-393.

فاليهود يتمتعون بحرية في التنقل والإقامة حيث يرغبون ويمارسون أي مهنة في حدود القانون كما أنهم غير قابلين للاسترقاق وكان اليهود المسنين وذوي العاهات يسلمون ممتلكاتهم لورثتهم ولا يقعون لأنفسهم سوى ما يسد الرمق في القدس ليلفظوا أنفاسهم الأخيرة هناك فكانوا يبحرون على متن سفينة مستأجرة باتجاه سورية للحج في القدس¹.

1-4- المرأة اليهودية:

اعتبرت الشريعة العبرية المرأة مخلوق منحط وينظر إليها المجتمع اليهودي بازدراء واعتبارها نجسة وأنها تعامل معاملة الأمة، رغم كونها حرة فتحرم من الإرث بوجود الذكر ولا تقبل في الوظائف الدينية إلا أن واقع المرأة تغير تغيرا ملحوظا بوجود الإسلام الذي نصت تعاليمه على احترام المرأة وحفظ حقوقها وكرامتها²، كما ينظر اليهود إلى المرأة نظرة تصغير وأنها سبب خروج آدم من الجنة إلى الأرض والشقاء فيها. وأن المرأة اليهودية المتزوجة لا يجوز لها البيع والشراء فهي بمثابة القاصر أو الصبي الفاقد عقله³ والمرأة اليهودية بعد وفاة زوجها من حقها حضانة أولادها وتربيتهم ومن واجبها في نفس الوقت، وتسعى في المحافظة والدفاع عن حقوق أولادها القاصرين، حتى وإن تزوجت برجل آخر وتمتعت المرأة اليهودية في الجزائر بحق شراء وامتلاك عقارات خاصة المنازل مثل امتلاك الذمية اقتصرت ثمن ونصف ثمن من دار بن عزرة، وامتلكت الذمية ريكة بنت موشي لبي سطر الدار الموجودة بسوق العطارين⁴.

1-5- الحياة الثقافية (التعليم):

تميزت الحياة الثقافية لدى اليهود بال تكرار وعدم التجديد وهو نفس الشيء الذي تميزت به الحياة الثقافية لدى المسلمين في الجزائر ويعود ذلك إلى الضعف والانحطاط الذي عرفته الدولة الإسلامية، فقد عجز اليهود على الاجتهاد في جميع المجالات وغلب على الفكر اليهودي الطابع الصوفي والتطلعات الغيبية، وقد أنتجت الطائفة اليهودية الجزائرية مفكرين وأدباء وشعراء بالرغم من الجمود الفكري الذي شهدته الجزائر العثمانية في تلك الفترة، ومن أبرزهم يهوذا عياش ومن أشهر مؤلفاته شيث يهوذا. ويوسف افرامكارو وهو حاخام إسباني الأصل ومن أهم أعماله "شولحاناروخ"⁵.

1- وليام شالر، المرجع السابق، ص 89-92.

2- بوشية ذهبية، ص 177.

3- عمر لمغيشي، "الأوضاع الاجتماعية للمرأة اليهودية المغربية إلى غاية نهاية القرن 19م"، مجلة العلوم الاجتماعية، ديسمبر 2017، ص 20.

4- نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 111-114.

5- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 172-173.

كما أقام اليهود مدارس لتعليم أولادهم التوراة واللغة العبرية فنجد الطور الأول والذي يسمى بالعبرية (الحيدر) ويقابله الكتاتيب لدى المسلمين، فكان يستقبل الأطفال لتعلم القراءة والكتابة، ثم الطور الثاني ويسمى (بيت همرداش) يتولى الدراسة الحاخمية العليا ويمثل الطور الثانوي يتم فيه دراسة الكتاب المقدس والتلمود والفقه، والطور الثالث يسمى (ياشيفاه) فهو عبارة عن تعليم عالي. ويتم تعليم الطالب ممارسة الجدل وإبراز قدرته على التأويل¹، ونجد في اليهود من هم رجال ثقافة وعلم مثل إسحاق بن شافات بركات كان مقيم في مليانة والجزائر، ويوسف بن مانير، ميمون بن سعدية النجار في قسنطينة، والشيء الذي ساعد على اندماج اليهود في المجتمع الجزائري هي المكانة التي منحها الأتراك لهم وتوليهم مناصب في الجزائر خاصة أواخر العهد العثماني إضافة إلى تفضيل الأندلسيين العامل مع اليهود باعتبارهم أتوا من نفس المكان الأندلس².

من خلال ما تقدم نجد أن اليهود عاشوا بحرية في الجزائر العثمانية ومارسوا طقوسهم الدينية بكل أريحية إضافة إلى تعليم اللغة العبرية، كما كانت لهم ممتلكات وعقارات في حارات تحمل اسمهم وتأثر اليهود بالعرب من خلال اللباس وبعض العادات والتقاليد مع عدم تخليهم عن عاداتهم التي لها منشأ ديني، وأتقن اليهود العربية الدراجة وأطلق عليهم اسم اليهود الأصليين "عريضون"، كما نجد اليهود اشتغلوا بأعمال شاقة مثل الدفن وشاركهم في ذلك جماعة البسكرة ويمثلون فئة اليهود الفقراء، ونجد يهود ذات حياة اجتماعية متوسطة وتمثلوا في التجار الصغار، ويهود أغنياء خاصة يهود ليقورنة الذين سيطروا على التجارة في الجزائر كما تعرض اليهود إلى الاضطهاد من طرف المسلمين وهذا لا يعود إلى الديانة بل إلى سلوكات اليهود السيئة وبالرغم من النظرة الإزدرائية التي نظرتها الشريعة اليهودية للمرأة إلا ان المرأة اليهودية في الجزائر تمتعت بقسط من الحرية فكان لها عقارات ونشاطات مارسنها ويعود ذلك إلى وجود الإسلام الذي قدس المرأة، وتأثر اليهود ببعض عادات المسلمين وتميزت الحياة الثقافية لدى اليهود بالتكرار وعدم التجديد وعجزوا عن الاجتهاد غلا أنهم أقاموا مراكز لتعليم أولادهم ولم يعارض العثمانيون الاجتهاد الثقافي لدى اليهود بل تركوه على اجتهاد المجتمع.

2- علاقاتهم الاجتماعية

أقام اليهود علاقات مع مختلف فئات المجتمع فأقاموا علاقات مع السلطة ومع سكان الجزائر، ومع الأتراك ومع اليهود بعضهم البعض.

¹ معوشي أمال، المرجع السابق، ص 772.

² ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 103.

2-1- مع السلطة:

أقام اليهود علاقة حسنة مع السلطة وبالرغم من التعالي الذي كان من صفة الأتراك تجاه الرعايا المسلمين إلا أنه مع اليهود منحوهم الثقة واستعملوهم في كثير من المعاملات التجارية مثل المفاوضات مع التجار الأوربيين، وكذلك اعتبروهم مدخل إلى السحر الأسود، وإدراك اليهود بقضايا العملة وتحديد طبيعتها أصلية أم مزيفة ومن أشهر العائلات اليهودية التي حظيت بامتيازات ومكانة في السلطة هي بكري وبوشناق¹، فكانت أولى الاتصالات بين أسرة بوشناق مع دايات الجزائر في عهد الداى عبدي باشا وذلك من أجل شراء بعض المعدات الحربية، ثم زاد الاتصال تدريجيا بين الأسترتين مع دايات الجزائر حتى تمكنوا من السيطرة على المجالات الحيوية في الدولة، وتوصلوا إلى التفاوض مع ممثلي الدولة باسم الجزائر².

ولعله يعود السبب في هذا التقارب بين السلطة واليهود إلى الثروة الطائلة التي يملكها اليهود ودورهم في تغطية عجز الدولة في تسديد أجور الإنكشاريين، ومن مظاهر العلاقة الحسنة بين السلطة واليهود هو تعيين محمد الكبير باي الغرب الجزائري اليهود كوكلاء دبلوماسيين لرعاية مصالحه في الخارج، وعين مقدم طائفة اليهود ماردوخايدارمون مستشاره الخاص ومنح الداى مصطفى لبكري وبوشناق احتكار الخشب³، فكان اليهود يحضرون الاتفاقيات حول افتداء الأسرى مثل اليهودي سلاون الذي رافق كاثكارت في مسالة افتداء الأسرى أما كوهين بكري رفض مرافقته، ومن معاهدات شراء العتاد الحربي التي توسط فيها اليهود فيقول كاثكارت: "قصدت على القصر برفقة بكري واجتمعت بالداى وأوضحت له ما تنطوي عليه هذه المادة من المعاهدة" إضافة إلى توسطهم في تجهيز الهدايا فيقول كاثكارت: "انهمك كوهين وداوود بكري ابن أخيه في إعداد الهدايا" وذلك لإرسالها إلى الداى لموافقته على عهد السلام مع الولايات المتحدة الأمريكية⁴.

وكان اليهود يمنحون ترضيات على السلطة مقابل الحصول على المزيد من الامتيازات التجارية لتنمية الثروة وكانت تلك الهدايا تدر إلى خزينة الدولة ويعتبر اليهودي الليفورني المؤسس الحقيقي للنفوذ اليهودي بالجزائر⁵ فيقول لوجيه داتياس: "إنه مخادع وماهر، يعلم مختلف طرق الإجرام ويملك مهارة فائقة تساعد في السيطرة على كبار المجرمين ويتمكن من تمييزهم" فتمكن اليهودي سالامون من السيطرة على سياسة الداى الداخلية والخارجية وعلى

1- وليام سينسر، المصدر السابق، ص 100-101.

2- براهيمي عليمه، المرجع السابق، ص 24-25.

3- شرفاوي أمين، سالي ياسين، المرجع السابق، ص 34.

4- كاثكارت، المصدر السابق، ص 181-183.

5- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2012، ص 100.

المسائل المالية وقد أقام اليهود اتفاقيات دون الرجوع على الداوي، كما أنهم لا يتركان الداوي يتحدث مع القناصل لوحده ووصلت بهم درجة النفوذ إلى أن أصبحوا يعزلان ويعينان الأمراء في السناجق ويحددوا أسعار المواد الغذائية والتجارية¹، فكانوا يستفيدون من الامتيازات الأجنبية وبإمكانهم التحكم في احتكار عدة تجارات مثل القمح والشمع والزيت ويقومون ببيع هذه المواد في الخارج وجنوا منها أرباح طائلة²، ومثال ذلك اليهودي بكري وأخوه ميخائيل الذي كان يملك حانوت صغير للعطارة يبيع فيها الخردوات يوجد بنواحي باب عزون، وقد ارتبطت عائلات بكري بمصالح حسن باشا ومصطفى باشا، وتوسط اليهود في المعاملات التجارية وتقدم الهدايا فلما أراد باي قسنطينة الوزناحي شراء هدية إلى زوجة الداوي بابا حسن توجه على نفظاليبوجناح وساعده في الشراء سرماطن مرصعا بالماس بقيمة 60 ألف سستر ولم يملك الوزناحي المبلغ فدفعه كيلات من القمح تقدر الكيلة الواحدة 4 فرنك وشحن البكريون تلك الكيلات (75 ألف كيلة) نقلوها على فرنسا وباعوها بـ 50 فرنك للكيلة الواحدة فوجد هنا قيمة الرباح التي ربحها اليهود في هذه الصفقة ثروة طائلة³.

2-2- علاقة اليهود بالأتراك:

كانت علاقة اليهود بالأتراك حسنة فقد رحب بهم الأتراك واندمج اليهود في الحياة العامة بالمدن الجزائرية وذلك نتيجة الترحاب الذي حظوا به إضافة إلى تفضيل الأندلسيين التعامل مع اليهود المطرودين من إسبانيا لوجود رابط مشترك هو الأندلس فقد اشتركوا في أسلوب العيش والحياة، فكان لليهود الحرية في ممارسة معتقداتهم الدينية وعلاقتهم مع الأتراك كانت مصلحة بالدرجة الأولى⁴.

فكانت الجالية اليهودية المستقرة في البلاد أو المهاجرين بعد سقوط الأندلس أمورهم ميسورة ومستقرة في الجزائر خلال العهد العثماني فقد كان عند محاكمة اليهود تتم محاكمتهم جهرا ويشهر بهم البراح مثلهم مثل سكان الجزائر عكس الأتراك الذين تتم محاكمتهم بشكل سري⁵، وبلغ عدد اليهود في أواخر القرن السادس عشر خمسة آلاف نسمة ومنتصف القرن السابع عشر عشرة آلاف نسمة من مجموع سكان المدن البالغين مائة ألف نسمة

1- عزيز سامح أتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، الجزائر، 1989، ص 110-111

2- محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني، تر: احمد بن البار، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2021، ص 261.

3- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تر: محمد العربي الزبيدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص 120-121.

4- جبار قرافية وشعيب عثمان، يهود البلاط والاقتصاد في الجزائر العثمانية ودورهم في نهاية الأيالة 1791-1830، رسالة ماستر، جامعة الوادي، 2017-2018، ص 17.

5- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 174-177.

وفي نهاية القرن الثامن عشر تناقص عددهم إلى سبعة آلاف نسمة وعند الاحتلال الفرنسي انخفض إلى خمسة آلاف نسمة¹.

كما كانت العلاقة سيئة بين اليهود والأتراك نتيجة تدمير الأتراك من سلوكيات اليهود فقد أخذ رجل من الترك اسمه يحيى وذهب نحو اليهودي لقتله وهو ولد بوجناح الذي كان له صيت مع الخزناجي والأمير، فوجده جالسا في دكانه فضربه بالبندقية وأسقطه قتيلا وفرح المسلمون بهذا العمل ولما رأى الأتراك سرور المسلمين بما فعله التركي قرروا في تلك الليلة قتل جميع اليهود فقتلوا منهم نحو المئتين وسلبت أموالهم وكثرت بذلك أموال المسلمين وقام الأتراك ببيع أثاث اليهود بأخص الأثمان وأصبح اليهود يجوبون الشوارع حفاة عراة²، وكذلك الحادثة التي وقعت في 28 جوان 1805 حيث قام أحد جنود الإنكشارية على قتل زعيم الجالية اليهودية نفظالي بوشناق عند خروجه من قصر الجينية فقد خاطبه: "السلام عليك يا ملك الجزائر" ونتج عن هذه الحادثة نهب الحي اليهودي كما تم اغتيال الداى مصطفى الذي منح لليهود امتيازات وكان أكثر المتعاملين معهم³، وتم تعيين زعيم الجالية اليهودية يوسف بكري وهو صديق وشريك بوشناق فحدث خلاف بين الداى الجديد وزعيم الجالية اليهودية يوسف بكري حول الأمور المالية وتم سجن بكري بالمزور بالميناء القديم في الجزائر فكان ينام مع العبيد ويشغل في محجرة باب الواد⁴.

2-3- علاقة اليهود بالسكان:

تأثر يهود مدينة الجزائر بعادات وتقاليد الأهالي كما استخدموا العربية في معاملاتهم وطقوسهم الدينية واحتفل اليهود مع الجزائريين في انتصاراتهم على الاسبان واتخذوها أعيادا مثل عيد بيورين 11 تموز الذي يمثل انتصار الجزائر على شارلكان 1541 وعيد بيورين 4 حيزران الذي يمثل انتصار الجزائر على شارل الثالث 1775⁵، فقد عامل الجزائريون اليهود معاملة حسن وذلك نتيجة الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى احترام أهل الكتاب فكانت حقوقه محفوظة وفي نفس الوقت كان هناك توتر بين الجزائر واليهود⁶، وذلك بسبب ممارسة اليهود للسمسة والربا فكانوا يقومون بالوساطة في كل المعاملات التجارية فيقول روزي: "لا يستطيع العربي بيع دجاجتين

1- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 103.

2- أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 87-88.

3- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 75.

4- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 184-185.

5- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 103.

6- بوشية ذهبية، المرجع السابق، ص 194.

بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود " فقد كان اليهود يعرضون خدماتهم بغية الحصول على الربح الوفير وكانوا يلجأون إلى البادية والصحراء لإجراء المعاملات التجارية¹ فكانوا يسعون إلى تحقيق مصالحهم على حساب الناس فكانوا سببا في غلاء المعيشة إضافة إلى سبب الدين الإسلامي والرسول ... فقد سب الحاخام ماردوخاينارويي الرسول في خصام مع مسلم فخيره القاضي إما أن يسلم أو يحكم عليه بالإعدام وتم إعدام الحاخام في 16 جويلية 1794²، وساءت العلاقة خاصة عند مجيء يهود ليفورنة التي هجرتم اختيارية وهي ممارسة التجارة وذلك سبب استيلاء يهود ليفورنة على مقاليد السلطة والزعامة السياسية والاجتماعية ، فكان التدهور الأخلاقي لرؤساء الطائفة اليهودية وسلوكاتهم السيئة إلى إحداث نقمة شعبية معادية لليهود خاصة في مدينة الجزائر، ففساد النخبة اليهودية أدى إلى تدهور نعمة التسامح الإسلامي الذي كان ينعم به اليهود³ فأناية اليهود وانفتاحهم على الثقافة الغربية جعل الأهالي يشككون في نشاطاتهم واتهامهم بالتواطؤ مع الأعداء، فقام الأهالي بعد انتفاضات ضد اليهود للحد من نفوذهم⁴.

وحصل يهود ليفورنة على امتياز تجارة الصوف والجلود والشمع والعسل وزاد نفوذهم وهذا ما جعل السكان والعناصر الأجنبية يتضايقون من نفوذ اليهود وخاصة يهود ليفورنة وعم الحقد في قلوبهم فتوجهوا إلى قطع رؤوس عدد من اليهود⁵، وإن احتكار اليهود لتجارة القمح تسبب في غلاء المعيشة لأن السكان لا يستطيعون شراءه بنفس المبالغ التي يدفعها اليهود وفي سنة 1800 أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى⁶.

وفي موضع آخر نجد اليهودي إذا اعتدى عليه واحد من الأهالي ما عليه إلا الفرار، وإذا حدث شجار بين يهودي ومسيحي يقف المسلم إلى جانب المسيحي. وفي حالة إذا اشتكى العبد من اليهودي تصادر أملاك اليهودي، وعند حدوث اضطراب في مدينة الجزائر تتعرض أملاك اليهود إلى النهب وهذا جعل اليهود لا يقبلون على شراء العقارات خوفا من المصادرة⁷.

1- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 44.

2- بوشيبة ذهبية، المرجع السابق، ص 195.

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 184.

4- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 104.

5- عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص 109-110.

6- حمدان خوجة، المرجع السابق، ص 121-122.

7- صالح عياد، المرجع السابق، ص 362.

وإذا رغب اليهودي أن يعتنق الإسلام ويصبح مسلماً ينبغي عليه أن يعتنق المسيحية ثم بإمكانه أن يدخل إلى الإسلام ويصبح من العلوج¹.

2-4- علاقة اليهود باليهود:

كان تواجد فئة التوشاييم في الجزائر منذ عهد الفينيقيين أي قرابة ثلاثة آلاف سنة ونتيجة تأثرهم بالأهالي تأثروا بعاداتهم، وربطتهم علاقة حسنة مع يهود إسبانيا الوافدين بعد سقوط الأندلس الميغوشيم، إلا أن اليهود لم يشكّلوا كتلة بشرية متماسكة بل كانوا جماعات متفرقة لا توجد بينهم روابط حقيقية، أما يهود ليفورنة كانوا متأثرين بالحضارة الأوربية وتواجههم في الجزائر كان بدافع الاختيار بحثاً عن المصالح وجمع الثروة².

فقد شهدت العلاقة بين اليهود خلافاً وصراعاً من أجل السلطة والنفوذ بل وصل الصراع حتى بين أفراد العائلة الواحدة وبلغ أشده نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ميلادي، وازداد الصراع خاصة في المناطق التي تمتاز بالأهمية التجارية والاقتصادية فمثلاً نجد الصراع بين اليهود كان في مدينة الجزائر أكثر من قسنطينة ومستغانم، فقد تغلبت المصلحة التجارية والمادية على الرابطة الروحية والدينية عند اليهود فيؤكد ر.حيون وب.كوهين أن الصراع بين التوشاييم والميغوشيم في بجاية كان سببه المنافسة التجارية بين الطرفين³.

إضافة إلى الصراع الذي كان بين اليهود نجد الصراع حول المقدم فقد عرف المقدم دايد دوران شهرة عند اليهود باسم "المنجد والطاهر العفيف" وبعده الشديد لعائلة بكري واتهمها بمساهمتهم في مقتل نفظالبيوجناح، وكان العداء حتى بين أفراد العائلة الواحدة على منصب المقدم وذلك لحساسيته فتجد التآمر والصراع مثلما حدث بين الأخوين يوسف ويعقوب بكري⁴. فقد كان هذا المنصب في الفترة الأخيرة حكراً على بعض العائلات اليهودية وأفراد العائلة الواحدة على تولية المنصب ليستقر في الأخير لدى يعقوب بكري إلى غاية 1830م.

2-5- علاقة اليهود بالأجانب والدول الأوربية:

كان لليهود مكانة بارزة ومهمة لدى الداي، مما جعلهم يمنحون اتفاقيات للدول الأوربية ويخدمون الأوربيين، ففي سنة 1792م قام الداي بطرد القنصل الفرنسي والرعايا الفرنسيين في الجزائر فتدخل اليهود لصالح

1- جون ب، وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830 تر وتع: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر 2009، ص 169.

2- شرفاوي أمين، سالي ياسين، المرجع السابق، ص 30.

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 179-180.

4- نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 144-148.

الفرنسيين وتنازل الداي عن قراره السابق فثراء اليهود ساهم في أن يقيموا علاقات مع الأجانب والدول الأوربية خاصة في الأعمال التجارية، فقد قدموا لهم خدمات وجمعوا وراء ذلك أرباحا طائلة¹.

فقد كان اليهود وكلاء في معظم المدن التجارية مثل عائلة بكري وبوشناق كان لهم وكلاء في مرسيليا، ليفورنة، نابولي، جنوة وبالتالي فإن التاجر الأوربي كان يتصل بمهاته الوكالات عن طريق المراسلة لكي يفني بدينه دون أن ينقل السبائك الذهبية، وتجار ليفورنة وجدوا تسهيلات تجارية لنقل بضائعهم إلى شمال إفريقيا وأوربا، ولعبت الطائفة اليهودية دورا مهما في وضع تسهيلات للتجارة الخارجية في ليفورنة ومرسيليا². فقد استفاد يهود ليفورنة في الجزائر من معرفة الأوربيين وفن الملاحه واطلاع بعضهم على السياسة الأوربية التي استطاعوا من خلالها الوصول إلى مناصب عليا ونافذة في أوربا. وهذا ما كانوا يريدون الوصول إليه في الجزائر. ويذكر لوجي دي تاسي أن اليهود الأوربيون كانوا تجار أجنب ورعايا لأمرأ البلدان التي يقدموا منها ويسهرون على مصالحها³.

وساهم اليهودي في تقديم قروض مالية لفرنسا، وتمويل حملة نابليون بوناپرت إلى الشرق كما قدم اليهود خدمات لفرنسا في المناطق التي تريد احتلالها من خلال نشر القلاقل والفتن والفوضى حتى يسهل الأمر لفرنسا في عملية الاحتلال، كما لا ننسى أن اليهود لم يتأخروا في إلحاق الضرر بكل شخص يريد المساس بمصلحتهم مثلما حدث مع القنصل الفرنسي كليرمبو كاد أن يقتل في مؤامرة حاكها ضده اليهود، والقنصل ثاليو تعرض لمؤامرة من طرف نفتالي بوشناق الجد⁴ وكان كاتكارت أسير الداي يكن كرها شديدا لليهودي بكري ويجذر من مؤامراته ودسائسه ونفس الانطباع يكنه وليام سبنسر والأسرى والقناصل الأوربيين والأمريكيين ضد يهود ليفورنة في الجزائر باستثناء الذين جمعتهم مصالح مشتركة⁵.

وهنا نجد أن العلاقة بين اليهود والأجانب والأوربيين كانت المصلحة المتبادلة بين الطرفين، الطرف الأول الحصول على الثروة والأرباح السريعة والأموال الطائلة والطرف الثاني الحصول على السلع والصوف والجلود والقمح الجزائري وتزويد السوق الأوربية به مقابل فوائد معينة، إضافة على الجوسسة ووضع مخططات استعمارية لاحتلال الجزائر.

1- عبد القادر كركار، يهود الجزائر وعلاقتهم بين الاندماج والمعاداة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2015_2016، ص 231.

2- د. محمد دادة، المرجع السابق، ص 172-173.

3- كمال بن صحراوي، اليهود الجزائريين بين الإدارة الفرنسية والحركة الصهيونية، جامعة تيارت، الجزائر، ص 133.

4- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 221-222.

5- المرجع نفسه، ص 222.

المبحث الثاني: الدور الاقتصادي

لقد مارس اليهود نشاطات في الجزائر لقد سيطروا على المجال الاقتصادي وكان لها دور كبير مهم في المجال الصناعي والتجاري.

1-الصناعة والحرف

1-1- الصياغة:

من الصناعات المركبة والدقيقة والكمالية والمرجحة في الوقت نفسه، وهي أهم الحرف التي مارسها اليهود إذ اشتروها بأشغالهم بجميع الحرف التي لها علاقة بالمجوهرات والمعادن الثمينة كالذهب والفضة، وما شجعهم على مزاولتها هو توفير الأرباح وفوائد مادية حتى احتكروا هذا المجال احتكارا تاما¹، وكانت صناعة الذهب والفضة هي من الصناعات المهمة التي ارتبطت بالوجود اليهودي في الجزائر، حيث برعوا فيها بشكل لا يجاريهم فيها احد، والتي أصبح لها شارع خاص بمدينة الجزائرية عرف بشارع الصاغة، حيث محلات اليهود، وكانت ورشاتهم لمزاوله هذه الصناعة تقع بالقرب من قصر الداوي في زقاق ضيق ووسخ²، ومن أهم العائلات اليهودية التي اشتغل أفرادها بصياغة الذهب والفضة أو صناعة المجوهرات في الجزائر: عائلة كوهين، ززاق، بلخير، سرور، مزغيش، داويد، بن حموش³.

1-2- العطارة:

من النشاطات التي مارسها اليهود بعد الصياغة، ففي مدينة الجزائر كان يوجد سوق العطارين لليهود⁴ الواقع أسفل سوق السممن وبمقرية من سوق الدخان، كما انتشرت محلات العطارين في مواقع أخرى إذ نجد الدمى موشي بن خاون يملك محلا لبيع العطرية قرب القهوة الكبيرة إضافة إلى ما عرف بمحلات العطارين لليهود الواقعة بسوق الحاشية إن أغلب هؤلاء العطارين من أصول ليفورنية مثل عائلة الجورنو وشريك وليبي ويلنسي⁵.

1- نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 165.

2- د. محمد دادة، المرجع السابق، ص 171.

3- نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 161.

4- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2001، ص 303.

5- نجوى طوبال، المرجع السابق، ص ص 168-169.

1-3- الحرارة: وهي صناعة المنتجات الحريرية وقد أشاد فونتيبيارادي بجودة الحرير المصنوع وذكروا واجه في أوروبا إقبال الأوروبيون على شراء المنتجات الحريرية الجزائرية من أحزمة ومناديل والمحارم الحريرية¹، ولقد استعملت في أول العهد العثماني خيوط الحرير التي تنتج محليا من شرائق الحرير " القز"².

ولقد عرفت هذه الحرفة رواجاً حيث اشتغل بها اليهود ودليل ذلك الذمي مردحاي الذباح بن إسحاق اليهودي الذي اشترى محلاً بالقرب من الجامع الأعظم احتوى على آلات معدة لصناعة الحرير³.

1-4- القزازة:

هم المشتغلون بصناعة الحرير والمنتجات الحريرية الرفيعة مثل الحواشي والأحزمة وخيوط الحرير الرفيعة، وبالغرم من وجود " سوق القزازين " إلا أنه يوجد محلات خارج هذا السوق ليهود مثل محلات القزازين اليهود أسفل سوق السهن بسكة غير نافذة كما كان للذمي موشي القزازين إسحاق محلاً بسوق اللوح ومن بين القزازين اليهود نذكر يعقوب القزاز 1705 والقزاز بن اسحاق شريك 1756⁴.

1-5- الخياطة:

ولقد كانت تنتشر في المدن الجزائرية عدة محلات مخصصة للخياطة والطرز وقد كان معظم الخياطين في مدينة الجزائر من اليهود، أما الطرازون فكانوا من الكراغلة والعرب⁵، ومن الخياطين اليهود الذمي هارون بن مردحاياشكانصو والذمي حبيم الخياط، والذمي عمران بن ميير، والذمي لإبراهيم التونسي بن إسحاق بن عزرة، ونعد حرف الخياطة من أهم الصنائع التي أتقنها اليهود رجالاً ونساءً، وذلك لأن الخياطة والطرز كانت من الصنائع التي جلبت الربح الكبير بالنسبة لليهود⁶.

أما فيما يخص الحومات التي كانت تنتشر فيها هذه الحرفة نجد حومة الرحبة القديمة وحومة الموز التي استقر فيها اليهود بشكل كبير⁷.

¹ - نجوى طوبال، المرجع نفسه، صص 170-171.

² - ناصر الدين سعديوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 68.

³ - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 171.

⁴ - نجوى طوبال، المرجع نفسه، ص 169.

⁵ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 225.

⁶ - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 170.

⁷ - جمعة بن قومار، فئة اليهود في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830، مذكرة ماستر، إشراف نصير نواصر، جامعة غرداية 2019،

1-6- حرف أخرى:

إلى جانب الحرف التي ذكرناها سابقا نجد ان اليهود قد مارسوا حرف أخرى التي ستعود عليهم بالربح وتوفر لهم الأموال مثل صناعة القزادير إذ نجد الذمي دايد بن إسحاق قام بشراء محل يقع بكجاوة معد لصناعة القزادير وبيعها¹.

كما اشتغل اليهود في الحدادة والجزارة وكانوا يربون يزيبون النخيل، ويعلمون أطفالهم من الصغر الحرف الهامة، ويربونهم على فنون التجارة والحيل من أجل الربح، أما نسائهم فكان يتغلغلن في أوساط الأحياء كبائعات متحولات لترويج المجوهرات والأدوية والتمايم السحرية².

2- النشاطات المالية:

ونعني بها كل نشاط له علاقة بالأموال والتجارة والتسويق، ولقد مارس اليهود كل النشاطات التي تعود عليهم بالأرباح وتحقيقهم الفائدة ومن بين هذه النشاطات نذكر³:

2-1. افتداء الأسرى:

الكثير من اليهود في الوساطة المالية، خاصة فيما يتعلق بافتداء الأسرى فأولوه عناية خاصة لكثرة عوائده، ويعود اهتمام الدول بالأسرى إلى عوامل اقتصادية واستراتيجية، فالأسرى في الجزائر كان الكثير منهم أصحاب مهارات مضطلعين في فنون عدة، متقنين لصناعتها وحرف أخرى وبحكم ثقافتهم واطلاعهم، شغلوا مناصب عدة وهامة في الدولة⁴.

مارس اليهود هذا النشاط من خلال الوساطة بين الأسير وأهله أو من خلال شراء الأسير وبيعه في ليفورن حيث أقيمت سجون يجسسون فيها الأسرى من أجل المحافظة على أمن الأرقاء إلى أن تضل دراهم الغداء ولقد استخدم اليهود كل الأساليب في هذا النشاط ما جعل وولغا يسوق لنا مثالا عن الأسير الدكتور أندرهيل الذي افتدى نفسه من خلال مهاراته الطبية التي عالج بها الرجل اليهودي، كما تمكن من الخروج من الجزائر باعه اليهودي إلى سيد تونسي ومن حسن حظله أن السفينة وقعت في أسر رجل حرب برتغالي وحصل على حريته⁵.

1- نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 171.

2- الجباري عثمان، "النشاط الاقتصادي طائفة اليهود في مدينة الوادي أواخر القرن 19 على ضوء وثائق المحاكم الشرعية، مجلة البحوث والدراسات"، العدد 14، جامعة الوادي في 2012، ص 314.

3- نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 172.

4- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 60.

5- جون وولف، المصدر السابق، ص 168.

ومن الأسرى الأكثر أهمية بالنسبة لحياة الإيالة كلها، الملاحون والبحارة بمداركهم الملاحية والتنظيمية، يوفرون للأسطول الجزائري الإمكانات البشرية التي يتعذر عليهم. توفيرها محليا ورغم تضائل عددهم في بداية القرن 19م، فإن الدول الأوروبية سعت إلى تحريرهم انطلاقا من أبعاد استراتيجية عسكرية لا من أبعاد إنسانية بحتة، كما يدعى الكُتّاب الأوروبيون في هذا الإطار ثم استخدام الوسطاء التجاريين اليهود، وتشجيعهم على بذل الفدية حتى لو كانت كبيرة لتحرير أكبر عدد منهم ومن بين أسماء اليهود الذين اشتغلوا في هذا المجال وحققوا منه أرباح طائلة نذكر منهم الآتي¹:

الشركة	الفترة الزمنية	عدد الأسرى ثم افتدائهم
إسحاق سليمان	1717م - 1722م	104
نفتالي بوشناق (الجد)	1723م - 1738م	26
إبراهيم بوشناق	1724م - 1733م	10
دافيد كوهين سلمون	1730م - 1741م	103
يعقوب رافاييل بوشارة	1738م - 1747م	133
يعقوب بوشارة	1738م - 1753م	04

جدول بأهم الأسماء اليهودية التي مارست عمليات افتداء الأسرى².

2-2- سلك العملة:

بما أن النظام المالي للإيالة الجزائرية كان يخضع لقوانين التعامل النقدي، فقد أصبح من الضروري التعرض لأوضاع العملة وأنظمتها المختلفة، وتكون العملة حجر الزاوية³ لكل تعامل مالي على المستوى المحلي أو الخارجي، غير أن النفوذ التي كانت تستعمل بالإيالة الجزائرية في آخر الفترة العثمانية ليست محلية الصنع كلها، فهي على صنفين عملة محلية وعملة مستوردة ذات أصل أجنبي⁴.

ولعل ما يكشف لنا توغل اليهود في شؤون الجزائر هو رتابتهم لأوضاعهم لأنواع العملة الداخلة إلى خزانة الدولة ولقد كانوا في العهد العثماني هم الذين يزنونها ويفحصونها ويحكمون بزيفها وأصالتها سواء كانت ذهبية أم فضية، وكانوا يعلمون قيمتها في الصعود والهبوط حسب الأسواق الدولية، الذي رشحهم إلى هذه المهنة الدقيقة

1 - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 60-61

2 - كمال بن صحراوي، المرجع نفسه، ص 61.

3 - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 179.

4 - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 179.

جدا هو خبرتهم بالعملات من جهة، وكونهم في نظر السلطة لا يشكلون خطرا من جهة أخرى، إذ هم كأقلية لا يهددون بثورة أو طموح في حطم ولكنهم كانوا محل رقابة شديدة¹.

وكانت هذه الحرفة تضرب بدار النقود التي تعرف "بدار السكة"²، الواقعة بالقرب من قصر الداوي غير بعيدة عن جامع كتشاوة، ثم يختار لها الداوي علي خوجة سنة 1817 مقرا جديدا بالقصبة ملحقا بالخزينة العامة، وحتى لا يقع أي تسرب للعملة أو تهاون في صنعها، أوكل الإشراف على دار السكة إلى موظف يدعى أمين السكة ويخضع لأوامره أربعة موظفين اثنان من اليهود، الأول يقوم بمراقبة حسن صناعة النقود والكشف عن القطع النقدية المغشوشة، أما الثاني أوكلت له مهمة مراقبة وزن القطع النقدية ويعلن عن الأوزان بصوت عالي³.

ولم يقتصر استخدام اليهود في مجال العملة على الخزينة العامة فقط وإنما كان الأهالي يستعينون بهم عند عقد الصفقات واستلام أثمانها تفاديا للوقوع ضحية التعامل بالنقود المزورة التي كثرت تداولها في نهاية العهد العثماني⁴.

2-3- النقل:

مع نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، كان البحر المتوسط يعج بالصدامات العسكرية ولم يعد الأطول الجزائري يتحكم في الأوضاع وإنما نافست أساطيل أوروبية إيرادات قوة مستفيدة من إنجازات الثورة الصناعية، ورغم هذا كله توسع مجال النشاطات التجارية فانشغل اليهود بالتصدير والاستيراد واشتغلوا بالنقل⁵، وكان توسيع اليهود لنشاطاتهم من باب الاحتياط حتى لا يقعوا تحت رحمة تقلبات الظروف الدولية إذ لم يقتصر على التجارة فقط، وإنما اختصوا في النقل حيث امتلكوا سفنا أجروها للتجار الأوروبيين وكانوا يتعهدون بضمان السلع المنقولة⁶.

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1945)، ج6، الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 393.

2 - الدمغة المعروضة على النقود المعدنية ويسمى بها النقد المعدني أيضا الذي حددت قيمته من لدن الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح، وأطلق أيضا على نوع خاص من قطاع غطاء الرأس، ينظر سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ط3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 134.

3 - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 179.

4 - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 63.

5 - كمال بن صحراوي، المرجع نفسه، ص 65.

6 - جمعة بن قومار، المرجع السابق، ص 53-54.

3- التجارة

3-1- التجارة الداخلية:

لقد مارس اليهود نشاطاتهم الحرفية والتجارية بكل حرية إذ لم يتم تسجيل أي إشارة تدل على منعهم من ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية، أو إجبارهم على ممارسة حرفة معينة، حيث اشتغلت كل فئة في النشاط الذي يناسب وضعها، فالبسطاء منهم مارسوا الحرف اليدوية البسيطة والدقيقة، أما الأغنياء اشتغلوا بالأعمال التجارية الكبرى واحتكروا تصدير مواد هامة مطلوبة في الأسواق الأوروبية¹.

وكما هي عاداتهم في بلدان أخرى يمارسون جميع فروع التجارة وهم يحتكرون في هذا البلد السمسة وأعمال المصارف وتبديل العملة، وكان هناك عدد كبير من الصيارفة في الذهب والفضة على السواء، وكانت الحكومة لا توظف سوى اليهود في صك النقود².

وتعتبر التجارة من أبرز مصادر الثروة التي اعتمدوا عليها لكسب رزقهم، فوجد اليهود الذي كانوا يقطنون بمدينة الجزائر يمارسون تجارة القوافل التي تمتد بين الجزائر وقسنطينة واعتمدوا بصفة خاصة على تجارة الحرير والنسيج والأقمشة والمصاييح الأوروبية وخردوات أوروبا، كما تمكن اليهود من الحصول على ثروات ضخمة نتيجة السمسة والمراباة والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية مهما كانت بسيطة أو تافهة، حتى أصبح العربي في مدينة الجزائر على حد تعبير "روزي" « لا يستطيع أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجور من أحد اليهود »³.

من المعروف أن التجارة الداخلية بمختلف أشكالها كانت تحت رقابة الإدارة، ولذلك صارت بأيدي حلفائها اليهود، حين أعطاهم نظام الحكم الحق في مزاولتها بشرط أن يدفعوا ما عليهم للخزينة، وبذلك أصبحوا يزودون الأهالي بما يحتاجون إليه من أقمشة حريرية وخردوات إضافة إلى السكر والشاي والتوابل والحلي سواء عن طريق المحلات التجارية التي امتلكوها في المدن، أو بواسطة الباعة المتجولين الذين كانوا يجوبون مناطق الجزائر حتى يصلوا إلى تخوم الصحراء فيبيعوا أو يبادلوا أهلها سلعا بسلع⁴.

ولقد عرف نشاط اليهود التجاري ازدهارا واسعا خاصة مع القرن الثامن عشر بعد وصول عائلتان قادمتان إلى الجزائر من مدينة ليفورنة، لعبت دورا مهما وخطيرا في المجال السياسي والاقتصادي وكان أبرز أفرادها

¹ - نجوى طوبال، المرجع السابق، ص 174.

² - وليام شالر، المصدر السابق، ص 89.

³ - د. محمد دادة، المرجع السابق، ص-ص 171-172.

⁴ - كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 62.

هما بكري وبوشناق الذين وحدوا مصالحهم وتمكنوا من السيطرة على الأسواق التجارية داخليا وخارجيا، ولقد امتد نفوذ اليهوديين إلى الأمور المالية وأصبحت يتصرفان في أموال البلاد¹.

3-2- التجارة الخارجية:

اتفق معظم الباحثين الذين قاموا بدراسة التجارة الخارجية للجزائر بين نهاية القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر، على أن تجارة الرقيق والغنائم البحرية مثلت القسم الرئيسي في العلاقات التجارية للمدينة مع الخارج في تلك الفترة².

ولقد أشارت لنا الأبحاث التاريخية أنه مهما كانت أهمية التجارة الداخلية فإنها تبقى استهلاكية ومحدودة الربح والنجاح إن لم تكن مقصورة على المستوى المحلي والداخلي، بل امتدت إلى ما وراء الحدود، ولقد اختلفت في تحديد حجم التجارة الجزائرية الخارجية وحاولوا التقليل من شأنها³.

ولقد تخلت الحكومة الجزائرية تجارتها الخارجية لصالح بعض التجار اليهود في أواخر القرن 18م، وهذا ما جعل القنصل الفرنسي ديبوتانفيل يقول أن هؤلاء اليهود ولاسيما بوشناق وبكري هي الأسرة الوحيدة التي كانت تتميز بطموح واسع، وتمتع بثقة حكام الجزائر، وأصبحوا شركاء في مكان واحد وامتدت علاقاتهم إلى باريس، ومرسيليا، وعنابة، وجنوة، وليفورن، ومدريد، وكل الموانئ الإسبانية ولندن ولشبونة وهامبورغ، واستولوا على كل تجارة المغرب⁴.

وما يمكن ملاحظته أنه مع بداية القرن التاسع عشر استولى اليهود على مقاليد التجارة الداخلية والخارجية للإيالة بموافقة الدايات، حيث كانت لديهم معرفة قوية بقضايا العملة مما جعلهم يتدخلون في الكثير من الأعمال التجارية للدولة والقيام بالمفاوضات مع التجار الأوروبيين وذلك لمعرفتهم باللغات والمعاملات التجارية للبحر الأبيض المتوسط التي كانت تفوق إمكانية حكام الجزائر وقد لعبوا أيضا دور الوسيط في المحاصيل الزراعية، حيث كانوا يأتون بها بأنفسهم من الأرياف إلى المدن⁵.

1- محمد دادة، المرجع السابق، ص 174.

2- أمين محرز، المرجع السابق، ص 195.

3- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 240.

4- أرزقي شويتام، المرجع نفسه، ص 250.

5- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 161-162.

ومن عوامل تغلغل اليهود هو منع الدايات لنشوء برجوازية جزائرية وقاموا بتعويضها بالتجار الأجانب وبخصوص من التجار اليهود والفرنسيين ومن خلال هذا الوضع غزت المتوجات الأوروبية أسواق الجزائر مما أدى بتجار الجزائر المسلمين يحتلون مكانة ثانوية في تجارة بلدهم¹.

¹ - حنفي هلايلي، المرجع نفسه، ص162.

الفصل الثاني:

النصارى ودورهم الاجتماعي والاقتصادي

في الجزائر العثمانية

المبحث الأول: الدور الاجتماعي

المبحث الثاني: الدور الاقتصادي

تعتبر الطائفة المسيحية إحدى الفئات المهمة داخل المجتمع الجزائري، وتمثلت في التجار الأجانب والقناصل والإرساليات ووكلاء المؤسسات التجارية، ويطلق عليهم الأحرار الذين وفدوا إلى الجزائر لأهداف اقتصادية، كما تشير الوثائق المسيحية إلى أن الوجود المسيحي في بلاد المغرب الإسلامي اقتصر على مجموعات صغيرة، ويذكر البكري استقرار بعض المسيحيين في تلمسان وتدعمه في ذلك الحفريات الأثرية الحديثة في تلمسان التي تشير إلى وجود مستوطنات مسيحية واسعة تعود إلى سنة 1114 ليتوافد المسيحيون خاصة في العهد المرابطي والموحدي¹ ليزداد عددهم في العهد العثماني من خلال المعاهدات التي حصل عليها المسيحيون الأحرار من طرف الدولة العثمانية وتعود إلى سنة 1525 بحصولهم على امتيازات اقتصادية وخاصة فرنسا، كما نجد الأسرى والتي تمثل نسبة كبيرة خاصة في بداية الوجود العثماني نتيجة الجهاد البحري واغلبهم من الإسبان و البرتغال والإيطاليين والألمان²، وقدر عدد الأسرى المسيحيين في الجزائر نهاية القرن 16 بـ 25000 أسير، وتناقص عددهم في الربع الأول من القرن 18 إلى 10000 شخص موزعون في سجون البايك، وآخرون يشغلون أعمال مختلفة، ليرتفع عددهم أواخر القرن 18 وأوائل القرن 19 بفعل النشاط البحري وحملة إكسمونث 1816، وكانت حياة الأسرى حسنة بل وممتازة إذا ما قورنت بحياة الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية³.

المبحث الأول: الدور الاجتماعي للمسيحيين الأسرى "أنموذجا"

1-وضعية الأسرى

1-1- معاملة الأسرى:

لقد حظيت كلتا الفئتين من الأسرى والأحرار بمعاملة جيدة سواء من الطبقة الحاكمة من الأتراك أو من الخوادم أو الأهالي الأغنياء إذ سمح لهم لممارسة أعمالهم وشعائهم الدينية، ولم يتم عقابهم إلا في حالة ارتكابهم الأخطاء والتي قد تضر بالمجتمع والإيالة على حد سواء⁴.

¹ - د. صديقي عبد الجبار "الطائفة المسيحية في المغرب الإسلامي تحت الحكم المرابطي: تعايش أم اضطهاد؟"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 7، ع 2، أكتوبر 2021، ص 28.

² - بن مولى علال، بن وليد يزيد، التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830 رسالة ماستر، جامعة أدرار، 2017-2018، ص 48.

³ - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 104-105.

⁴ - سلطاني نجاة، غرابي سارة، المسيحيون في الجزائر خلال العهد العثماني بين المكانة والمعاملة خلال القرنين 18-19م، مذكرة ماستر، إشراف: فاتح بلعمري، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2022، ص 10.

حيث يذكر لنا في هذا الصدد جيمس ويلسن بأن "حالتهم في تعاسة وقهر وحرمان وجور وكانوا يقومون بالأعمال الشاقة من طلوع الشمس إلى غروبها"¹.

ولقد كانت الحالة الاجتماعية التي يتمتع بها الأسير في بلاده هي أكبر عامل في تحديد نوع المعاملة التي سيحظى بها في شمال إفريقيا، حيث كان أصل الثقافة ورجال المهارات يعطون عملا منحطا، أما الأرقاء فقد كانوا يحملون الأثقال ويفلحون الأرض².

في حين كان الأسرى يؤلفون الأغلبية الساحقة من العناصر الدخيلة ففي نهاية القرن السادس عشر قدر عدد الأسرى المسيحيين بمدينة الجزائر بـ 25 ألفا، وإذا بمقارنة حياة الأسرى بالجزائر بوضعية الأسرى المسلمين بالبلاد الأوروبية كانت حسنة بل ممتازة بشهادة بعض الكتاب الأوروبيين أمثال لوبي دوتاسي³.

كان الأسرى يسألون عدة أسئلة لمعرفة أهميتهم واحتمال الثروات التي لهم، ولقد كان البحارة القراصنة يحاولون معرفة طائفة منهم بإظهار اللطف وعرض الخدمات وأحيانا يصبح العنف هو القانون حيث كان أضاء الطاقم يضربون ضربا إذا رفضوا إعطاء المعلومات، إذ يخبرنا في هذا الصدد الدكتور "أندرهيل" بأنه قد جرد من ملابسه إلا ما يستر عورته، وعرض للبيع رفقة الإبل والبغال والماعز والأرانب والمهاري والنساء، والرجال وغير ذلك من المخلوقات إما لإتباع الشهوة وإما للاستعمال⁴.

ولقد كان الأسرى يعتبرون عبيد الإيالة، ولقد كانت السلطات تحميهم من الأذى ومن سوء معاملة الأهالي فالأسيرات كن دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن، وحتى الأشغال التي كانت تطلب من الرجال القيام بها لم تكن مفرطة المشقة⁵.

ولعل أبرز مثال يدل على حسن معاملة السلطات للأسرى هو ما صرح به أسير الداوي كاتكارث في قوله «بعد وصولنا إلى قصر الداوي أخذنا حمام ساخن وقام بغسلنا عبيد مسيحيون ونظفنا من جميع الأوساخ التي علقنا بنا أثناء الرحلة في السفينة، كما سمح لنا بأن نبقي معا في تلك الليلة، ولقد كانت حالتنا على أفضل ما

¹ - جيمس ويلسن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر (1785-1797م)، تر: علي تابلت، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية الأبيار - الجزائر، 2007، ص-ص 71-73.

² - جون ب. وولف، ص-ص 211-212.

³ - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدي، المرجع السابق، ص-ص 104-105.

⁴ - جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 240.

⁵ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 99.

يمكن بالقياس على ما عرفناه في الأيام السابقة، وبعد الحمام شعرنا بنظافة أجسامنا واستغرقنا في سبات عميق بقدر ما يسمح به وضع العبودية الذي نحن فيه...¹.

وكان الأسرى بالجزائر عند مرضهم يتم الصفح عنهم أثناء ارتكابهم الأخطاء وكان العديد منهم قادرا على شراء حريته بنفسه، ولكن لا يفعل ذلك ويبقى بالجزائر وهذا دليل على المعاملة الحسنة، وكانت تفرض عليهم العقوبات على هذه الجرائم المرتكبة من طرف الأسرى فبعضها سيلتزم عقوبات قاسية والبعض الآخر تكون خفيفة مثل الضرب، مثلا الضرب بالعصا، هذه الأكثر عقوبات شيوعا².

في حين وجدت بمدينة الجزائر العديد من المستشفيات الخاصة بالأسرى مدعمة من الدولة الإسبانية حيث قدر المبلغ بـ 40.000 دولار سنويا، والتي تحول سنويا إلى الجزائر قصد هذا العمل الخيري، وكان كل مريض من بين العبيد والغير القادر على العمل يرسل إلى المستشفى المقابل لسجن البايك الذي يتسع لاستقبال 50 مريضا تحت إدارة طبيب وثلاثمائة قسيسين إسبان، ويتم وصف الأدوية حسب أمراضهم العديدة³.

1-2- لباسهم وطعامهم

إن الطعام واللباس كان يختلف على حسب الوظيفة والعمل المؤدى من قبل الأسرى، فطعام الأسرى المشتغلين بالأعمال الشاقة يختلف عن طعام المجدفين والمشتغلين لدى الحاكم أو أثرياء المدينة هم من كانوا يحصلون على وجبات أفضل بكثير من زملائهم في السجون⁴.

يتكون طعام الأسرى من رغيفين من الخبز ولا يسمح لهم بتناول اللحم والخضراوات باستثناء من يعمل في البحرية، أما أسرى الداى ورجال الدولة فقد كانوا يأكلون ما يطبخ في المنزل حيث يذكر بفايغر " أما طعامنا فإنه لم يكن الذي كان يفرضه علينا أن نشكو من الجوع، فقد كانت بقايا المطبخ كلها لنا وكل ما يتبقى فوق مائدة الوزير أوسادة الدولة الآخرين من أهل البيت"⁵.

ويحدثنا كاتكارث عن الجوع الذي كان يتعرض له هؤلاء الأسرى في سجون الدولة بقوله " وفضلات هذه الحيوانات توفر غداء شهيا لحشود الفقران، وهي أكر الفقران التي رأيتها في حياتي، وهذه الفقران بدورها كثيرا ما

¹ - كاتكارث، المصدر السابق، ص 22.

² - سلطاني نجاة، غراي سارة، المرجع السابق، ص 11.

³ - جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص 269.

⁴ - بلقاسم قرباش، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)"، دراسات تاريخية، العدد 01، قسم التاريخ، جامعة معسكر، 2013، ص 136.

⁵ - صفاح بوعلام، "الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الوثائق للدراسات التاريخية"، مج 01، ع 02، جامعة الجليلي بونعامة بخميس مليانة، الجزائر، 2022، ص 321.

يستعملها بعض العبيد المساكين لدفع غائلة الجوع الذي ينهش أحشائهم، وكذلك يأكل بعض العبيد القلط بحكم الضرورة، وقد سألت أسرا فرنسيا ذات يوم ماذا سيفعل بالقط الذي سلخه، فأجابني قائلاً: «يتحتم على المرء سد الرمق»¹.

أما الذين يشتغلون في قصر الداوي، فلهم مطبخ خاص بهم، حيث يتلقى الأسير طعامه وشرايه وموضع نومه في القصر، وأما لباسه والأمور الخاصة بالنظافة فيتلقاها مرة واحدة لدى نزوله في القصر، وبعد ذلك يتحتم على هذا الأسير تدبر شؤونه بنفسه.

ولباس هؤلاء المساجين هو عبارة عن قميص فضفاض من القماش، وسروال داخلي وقفطان صغير من نفس النوع، الذي ينحدر إلى غاية الركبة، وقبعة بيضاء وزوجين من الأحذية، حيث يحتفظ به الأسير مدة سنة واحدة، ويقول آخر كان يمنح كل عبد يصل إلى الجزائر حزمة من الأمتعة، تحتوي حزاما، وسترة صدرية، وقميصا، وبنطالين، ولباس نوم².

ويحدثنا سيمون بفايفر أن لباسهم كان يتكون من قلنسوة حمراء وقميص وصدار من الصوف وسروالين ينتهيان فوق الركبة ونعلين من النوع الرخيص، وكنا ننام في نخزن واسع، وكانت أفرشتنا بسيطة جدا، أي أنها كانت عبارة عن ألواح فوقها جلود القلم وأغطية خفيفة من الصوف³.

أما كاتكارث فيقول بأن عمال الحديقة لا تتلقى من الطعام سوى صحن صغير من اللحم مع الحمصة وصحن من البرغل وقدحين من اللبن الحامض في اليوم، وهو غذاء لا يكفي لأربعة منا، وبين الحين والحين يقدم شيء من الزيت والخل واحبز الأسود، وكذلك بعض الفواكه⁴.

أما طعام البايك يتكون من الخبز شيء التوعية، والزيتون، والخل، يوزع على كل شخص رغيفين صغيرين في حدود نصف رطل لكل منهم، وقليل من الزيت في اليوم، وكانت تحضر هذه المواد إلى باب الوادي عن طريق سائقي البغال، الذين يشتغلون يوميا في نقل المؤونة إلى العبيد⁵.

1- كاتكارث، المصدر السابق، ص 60.

2- بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بوغفالة ودان، جامعة مصطفى اسطنبولي-معسكر، 2016، ص 263.

3- سيمون بفايفر، مذكرات أو لحة تاريخية عن الزائر، تع: أبو العبد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 16.

4- كاتكارث، المصدر السابق، ص 26.

5- جيمس ويلسن ستيفن، المصدر السابق، ص 269.

1-3- العقوبات

لعل أكثر العقوبات رواجاً بين الأسرى، ما يعرف " بالفلقة " ويذكر لنا هابنسترايت أنه عندما يتم القبض عليهم في حالة محاولتهم الهروب يتعرضون إلى الضرب بالعصا، والذي يتم بطريقة لا تؤدي إلى موت الأسير إلا نادراً¹.

ولقد كان تفرض عقوبات على حسب الجرائم المرتكبة من طرف الأسرى، فبعضها يستلزم عقوبات قاسية، والبعض الآخر تكون خفيفة، وإن حدث ودخل أحد من هؤلاء الأسرى للإسلام وارتد، فسيحمر حياً، أو يرمى إلى الأسفل من أعلى أسوار المدينة، وعلى عقافات حديدية، تمسك بعظام الحنك والأضلاع أو بأجزاء من الجسم².

ويرى البعض أن حرق الرأس كان يتم إما بداعي العقاب أو التسلية ويصطف العبيد مساء ليسمعوا أسمائهم في السجل، ثم يقادون إلى بوابات المدينة، حيث يطالبون بالذهاب بأنفسهم إلى السجن، وكل عبد لا يصل بعد ربع ساعة إلى هناك أو أي واحد منهم نسي ذكر اسمه للمنادي داخل السجن، يقيد بأحد الأعمدة من رجليه ويديه، وفي الصباح تنزع عنه القيود ويتعرض لعقاب جديد يتمثل في الفلقة غالباً بين مائة والمائتي ضربة، ويجب على الأسير الذي يمسك برفقة امرأة جزائرية بقطع رأسه، أما المرأة فيتم ربطها ووضعها في قفص يرمى على بعد ميل بالبحر³.

2- مهام الأسرى

1-2- مهام أسرى الداى

كان يوجد هناك اثنان المسيحيين مهمتهما القيام بتنظيف الجزء الأسفل من القصر وإضاءة الدرج للداى في الصباح الباكر كما يقومون برفع أسرة الجنود الذين يرقدون عند أبواب الخزانة والقيام بكل ما يأمرهم به رئيس الوزراء، وإلى جانب هؤلاء المسيحيين يوجد من بينهم من يعملون في القصر من الحدادين وعدد من الكناسين الذين يقومون بنقل القاذورات الكثيرة التي تتجمع في القصر من بقايا الحيوانات التي تذبح وتسلخ داخل القصر⁴.

¹ - ج، هابنسترايت، المصدر السابق، ص 43.

² - بلقاسم قرياش، المرجع السابق، ص 138.

³ - بلقاسم قرياش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات، المرجع السابق، ص 265.

⁴ - كاتكارث، المصدر السابق، ص-ص 26-27.

وما يؤكد ذلك الأسير بفايفر بقوله: «كانت وظيفتنا تتمثل في تنظيف القصر بالماء وإشعال النار في المطبخ وذبح الغنم والدجاج، وتنظيم البقول والخضر والصحون وجميع الأدوات المنزلية وكذلك القيام بالأعمال المنزلية كلها بصورة عامة»¹.

كما قام الأسير كاتكارث بوصف عمل الأسرى في القصر حيث قال: «إن حالة العبيد الذين يعملون في القصر أفضل من غيرهم، ولكل في الحقيقة هي أن الإهانات التي يتعرض لها العبد في القصر لا تحمل وتجعل الإنسان في بؤس وعذاب مستمر، بحيث بفضل الإنسان الذي له إحساس بكرامته الأعمال الشاقة على حياة القصر»².

كان الداى يختار من هؤلاء الأسرى الطهارة وهم العلماء الأصغر سنا لاستعمالهم في قصره للعمل بمختلف الوظائف وأسند إليهم بعض الوظائف منها تنظيف الغرف وغسل الملابس والاعتناء به، وكان هؤلاء الأسرى يحصلون على الكثير من الهدايا التي تقدم لهم من طرف القناصل³.

2-2- مهام أسرى البايك

هم الأسرى الذين يختارهم الداى فيصبحون ملكا للخوادم يكلفون بأعمال مختلفة مثل العمل في ورشات بناء السفن ومقالع الحجارة ومصانع الأسلحة وغيرها، ومنهم من يشتغل في البساتين أو يقوم بالخدمة في المنازل والمقاهي والحانات، ويتقاضون مقابل ذلك علاوات وشهيرة وهدايا متنوعة في المواسم والأعياد⁴. بالإضافة إلى أعمال الورشات البحرية بها بعض المهام منها صناعة السفن والحدادة والتجارة وغيرها من المهن الأخرى، وبعض المهن العامة، فقد كانت وضعية الأسرى المحترفين أفضل بكثير من هؤلاء الأسرى غير المؤهلين، وقد انشغلوا في التجارة والملاحة، وبالتالي عبر تيدنا على المعاملة الحسنة التي تلقاها من الجزائريين وأكد أنهم كانوا يعاملون الأسرى معاملة حسنة، وبالتالي لم يعامل هو الوحيد فقط بل كل الأسرى الذين حلوا بالجزائر⁵. كانوا يستخدمون أيضا كجدافين على سفن الرياس وينهض كل منهم في الساعة الأولى من الصباح ويتجهون إلى عملهم على ظهر مراكب البايك، وينتقلون إلى السفن الطوافة المتمركزة في أجزاء مختلفة من الميناء⁶.

¹ - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 18.

² - كاتكارث، المصدر السابق، ص 28.

³ - سلطاني نجاة، عزاي سارة، المرجع السابق، ص 16.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 105.

⁵ - سلطاني نجاة، عزاي سارة، المرجع السابق، ص 17.

⁶ - جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص 268.

المبحث الثاني: الدور الاقتصادي

1- التجارة:

تعتبر التجارة مصدرا اقتصاديا هاما في الجزائر العثمانية وتحكمت فيها عدة عوامل مثل الموقع الجغرافي وتنوع الأنشطة الاقتصادية وتمثلت في التجارة الداخلية التي كانت تتم في المدن والأرياف والأسواق المحلية والجهوية¹. وأن الأسواق كانت مزدهرة في الأماكن التي يكون فيها إنتاج الأرض مثل معسكر التي كان بها سوق أسبوعي وتلمسان، إضافة إلى الباعة المتجولين، ومن أهم المدن التجارية التي حافظت على ازدهارها الاقتصادي تلمسان وقسنطينة والجزائر...

والتجارة الخارجية كانت تخضع إلى الاتفاقيات والمعاهدات والضرائب فقد ساهمت تلك المعاهدات في الحفاظ على العلاقات بين الجزائر والدول الأوربية إلا مع إسبانيا فكان التعامل معها معدوما².

1-1- فرنسا:

تعد فرنسا من أهم الدول الأوربية التي تربطها علاقات تجارية مع الجزائر وبدأت منذ أن أعطى لهم السلطان سليم الأول حق صيد المرجان في الشرق الجزائري³. وكثرت المعاهدات بين الجزائر وفرنسا في عهد لويس الخامس عشر، فقد حصلت على امتياز صيد المرجان في الشرق الجزائري واستغلال حصن الباستيون والتزام الدولة بحماية مصالح الرعايا والتجار الفرنسيين في الجزائر سواء فترة الحرب أو السلم بين البلدين⁴، وتعود الامتيازات الأجنبية التجارية إلى سنة 1535م وفي اتفاقية ثنائية بين الباب العالي والدول الأوربية مثل معاهدة السلطان سليمان وفرانسوا الأول 1535م، والمعاهدة الإنجليزية العثمانية 1604م فقد حصل الفرنسيون على امتياز صيد المرجان 1520م كما حصل التاجران المرسيليان توماس لنش وكارلانديدا على حق تصدير المادة الأولية وصيد المرجان، وتم إنشاء حصن القالة 1561م ليتحول إلى امتياز شبه دائم حين وقع التاجر الفرنسي سانسونابللو وهو أحد أعيان كورسيكا معاهدة سلم وتجارة 1628م مكن التجار الفرنسيين من التمرکز في حصن فرنسا الواقع غرمدينة القالة⁵.

¹ نصيرة نواصر، لمحات عن الوضع التجاري في أبالة الجزائر أواخر العهد العثماني. مجلة البحوث التاريخية، مج6، ع 2، 2022، ص 494.

² أندري برنيان، الجزائر بين الماضي والحاضر. تر: اسطنبولي رابع ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص494.

³ حمزة قرين، التجارة الخارجية للجزائر خلال العهد العثماني فرنسا وإمارة ليفورنة أنموذجا، مذكرة ماستر جامعة المسيلة، 2018_2019، ص 32.

⁴ خديجة حالة، الجاليات الأوربية في الجزائر إبان العهد العثماني رسالة ماجستير. قسم التاريخ، جامعة أدرار، أدرار، 2013، ص61-62.

⁵ ناصر الدين سعديوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 74-75.

كما كان للفرنسيين مركزا تجاريا بعناية لتجارة القمح والشعير والخضار الجافة والجلود والعسل والشموع، ويعتبر هذا العمل التجاري مربحا لمقاطعة بروفانس الفرنسية. وقد حققت شركة الملكية الإفريقية بمرسيليا أرباحا طائلة من هذه التجارة وقد شغل هذا النشاط التجاري تكلفة مالية لتغطية حاجيات المستخدمين وتسديد أجورهم¹.

وقبل الثورة الفرنسية حصلت فرنسا على احتكار صيد المرجان في قسنطينة مقابل مبلغ زهيد إضافة إلى وجود شركة تحمل اسم الشركة الإفريقية لصيد المرجان وكان لتجار مرسيليا على شواطئ البحر المتوسط تجارة واسعة النطاق ولا يوجد منافس لهم سوى إنجلترا ودول أوروبا الشمالية كما تميز القناصل الفرنسيين في الجزائر بحماية مصالح بلدهم التجارية ومقابل ذلك يقدمون الهدايا والرشوة للحكام في المناسبات ولم تقدم فرنسا ضريبة سنوية للجزائر إلا أن الهدايا التي كانت تقدمها فاحرة في الوقت المناسب. كما كانت فرنسا تقدم أي خدمة تدل على الولاء للجزائر حتى لو كانت خارقة للقانون الدولي². وكان دايات الجزائر يظهرون أمام القناصل الأوربيين والتجار بشباب فاحرة كرمز للدولة القوية فقد أعجب القنصل الأمريكي 1795-1797م جويل بارلو بلباس الداى سيدي حسن³. فقد عرفت الهدايا التي تقدمها فرنسا من خلال قناصلها تطورا من أجل التقرب إلى الحكام كما كانت هناك منافسة بين القناصل الأوربيين أيهم يقدم هدايا ثمينة حتى يكسب الحكام (الدايات إلى صفه) مثل تقديم القنصلية الفرنسية في 24 ديسمبر 1708م هدايا تمثلت في أقمشة مذهبة عند ختان الداى محمد بقطاش لابنه⁴.

ف نجد ارتفاع عدد التجار الفرنسيين بمدينة الجزائر وذلك من خلال دراسة Devoulx الذي أحصى عدد الفرنسيين المتواجدين في الجزائر خلال الفترة 1686-1830م واهتم بنشاط الرعايا الفرنسيين خاصة التجار، وهذا ما أثبتته وثائق الغرفة التجارية بمرسيليا حيث نجد طول إقامة الرعايا الفرنسيين في الجزائر مثل ماركورانقاسيار الذي استقر في الجزائر سبعة عشر سنة دون انقطاع، وبرونو دانغاليار أقام بالجزائر مدة خمسة عشرة سنة وشارك في العديد من الصفقات التجارية مع بيار إكار من مرسيليا وكريست هاسنت الذي أقام مدة ثمانية وأربعين سنة كوكيل تجاري لبيت Raffa⁵.

1- ج. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 94-95..

2- وليام شالر، المصدر السابق، ص 131-132.

3- وليم سينسر، المصدر السابق، ص 94.

4- بليل رهمونة. القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية 1564_1830م. قسم التاريخ، جامعة وهران، وهران، 2010_2011، ص 104.

5- بوشيبه ذهيبية، المرجع السابق، ص 544-545.

فالقنصل الفرنسي كان يمثل الدول الأوروبية النصارانية فتعتبر فرنسا حليف تجاري للجزائر وتقوم بحماية تجارة الدول الأوروبية ونافسها في هذا المجال دول أوربية أخرى مثل الإنجليز والاسبان ونابولي والسويد والدانمارك والبرتغال الذين منحوا اتاوات للجزائر قدر لكل منهم 24 ألف قرش مقابل حمايتهم من سفن القرصنة البحرية¹. كما وقعت الشركة الإفريقية مع باي قسنطينة معاهدة رخصت للفرنسيين استغلال الحبوب وكانت لصالح فرنسا وشركة الهند الشرقية الفرنسية التي تأسست في 1719م سيطرت على جميع الاحتكارات لمدة 24 سنة إلا أنها ضعفت لتلقى نفس مصير سابقاتها فقد تراجع نشاطها في صيد المرجان بالشرق، وشركة الملكية الإفريقية حظيت باهتمام ملكي فقد منع الاتجار في المناطق التي بها امتيازات حتى على الفرنسيين أنفسهم ، وحققت هذه الشركة أرباحا طائلة لصيد الكرجان وتجارة القمح فكان يصل على مرسيليا ما بين 60 على 80 حمولة قمح سنويا و 20 حمولة شعير، كما وسعت نشاطها نحو مواد أخرى مثل الصوف والجلود، لتلقى نفس مصير سابقاتها وتحل محلها الوكالة الإفريقية 1794م إلا أنها واجهت صعوبات واثرت على سيرها اليهود الذين حصلوا على احتكار تصدير الحبوب من الداوي حسن والباي مصطفى الخزناجي وتقلص نشاط الوكالة الإفريقية بسبب الحملة الفرنسية على مصر في 1798م².

1-2- إيطاليا:

كانت العلاقة متوترة بين الجزائر وإيطاليا بسبب الحقد الصليبي ووقوفهم إلى جانب إسبانيا في حروبها على الجزائر فقد شن أندري دوريا حملات عسكرية على شرشال ... والجنويين على بجاية ووقوف البنادقة إلى جانب إسبانيا هذا مع جعل التعامل التجاري بين البلدين مستحيل خلال القرنين 16 و 17 م وخلال القرن 18 قام الإيطاليون بأعمال تجارية واستطاعوا أن يشكلوا ثروة وأرباحا، فتمكن تجار ليفورنة من احتكار المرجان والقمح واحتلت ليفورنة المركز الثاني بعد مرسيليا في العلاقات التجارية الخارجية مع الأيالة، حيث تعد ليفورنة قطب تجاري يستحوذ على السلع المحظورة في الأسواق الأخرى في أوروبا³.

واستطاع التجار الأوروبيون أن يستحوذوا على الاحتكارات التجارية التي تمثل مصالحهم ومصالح الحكام فكان الأجانب يمثلون طبقة بورجوازية نامية، وكانت تصرفاتهم استعمارية ، فكانوا يوجهون إلى أوروبا رؤوس الأموال التي جمعوها في الجزائر، وحرمو الجزائريين من خيرات بلدهم، وتمثلت الصادرات في القمح الصلب، والمرجان وريش

¹ - أندري برنيان، المصدر السابق، ص 167.

² - بوشيبه ذهبية، المرجع السابق، ص 580-595.

³ - حمزة قرين، المرجع السابق، ص 52-53.

النعام ، وتزود السوق الجزائرية العثمانية بالأقمشة الحريرية القادمة من إيطاليا والمواد الغذائية كاللبن والسكر¹ ونجد أن الامتيازات التجارية التي حصلت عليها الدول الأوروبية ألحقت الضرر بالقدرة الاقتصادية في الجزائر وخاصة أن الأوروبيين تعاملوا مع تلك الامتيازات على أنها حق مكتسب، كما نجد نزوح الموظفين الإداريين إلى وكلاء تجاريين للأجانب لتحقيق أرباح طائلة، فقاموا بشراء المادة الأولية بأثمان زهيدة من الفلاحين لتشحن وتسوق في أوروبا من طرف المحتكرين الأجانب وتباع بأسعار مرتفعة مثل شراء قنطار الصوف من الفلاح بـ 15 صولدي ليباع إلى المحتكرين الأوروبيين بـ 24 فرنك وتباع في أسواق أوروبا 38 فرنك².

1-3- إسبانيا:

أما مع الأسبانيين فقد سمح لتجار إسبانيا في 1792م بشراء القمح والشعير من عنابة والقالبة فنجد في إحدى الوثائق " لقد علمنا أن الإسبانيين قدموا عنابة وحصلوا على إذن شراء الحبوب، وأنهم يتبايعون مع الباي مباشرة، وأن بواخرهم المتعددة تحمل ما يباع إليهم... " فقد أزعج هذا القرار الشركة الفرنسية مما جعلها تتحجج عند الباي ليرد ويقول: " الحبوب ملك لنا ونحن نبيعها لمن نريد"³.

ويعطينا فونتور دي بارادي معلومات مهمة عن التجارة في القرن 18م فقد كانت تصدر الحبوب (القمح والشعير) الذي يستعمل في صناعة السميد وعجائن جنوة فيعتبر قمح قسنطينة من أشهر أنواع القمح، وفي الغرب قام محمد الكبير ببناء مخازن للتصدير في أرزيو وتصدير الزيت والصوف والشمع والجلود، فكان يصدر القمح بمعدل 40 رحلة سنويا في عنابة، و30 رحلة في أرزيو ... أما الواردات فتمثلت في كل ما يلزم لصناعة السفن والحديد والفولاذ والقنابل والبارود، وكانت الواردات عبر البحر حكرا على ليفورن ومرسيليا فيستعمل من 25 إلى 30 سفينة فرنسية و25 إلى 30 سفينة إسبانية، وتأتينا مناديل الحرير من كتالونيا والسكر والتوابل من البندقية⁴. وقد منع الجزائريون من إقامة محلات تجارية في أوروبا فتركوا التجارة الخارجية للأجانب مما ساهم في انخفاض أسعار المواد المصدرة وارتفاع أسعار المواد المستوردة وهذا ساهم في تدني المستوى المعيشي بالجزائر⁵. فكان ميناء أرزيو يصدر 40 ألف رأس من البقر إلى الجيش الإنجليزي في إسبانيا⁶.

¹ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القدم والحديث. مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص311.

² ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب من القرن 16 إلى القرن 19م. جامعة الكويت، الكويت، 2010، ص 42-43.

³ محمد العربي الزبيدي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص92-93.

⁴ محفوظ قداش، المرجع السابق، ص274-275.

⁵ محمد العربي الزبيدي، المرجع السابق، ص84-85.

⁶ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص314.

وقد سمح الداى حسن باشا للإسبان بفتح مراكز تجارية في الغزوات وسمح لهم بشراء 3 آلاف حمل مما ينقصهم سنويا، وصيد المرجان في السواحل الغربية وفرض عليهم أسعار تكون مساوية للأسعار في إمارة مسكرة في المواد التالية (القمح، الشعير، البقول الحافة، الصوف، الجلود...) والسماح للإسبان بفتح مراكز تجارية بمسكرة. ومقابل هذه الاتفاقية قدم الإسبان هدايا غالية الثمن للداى¹، كما كانت الجزائر تصدر إلى مالطا حوالي 700 رأس من البقر خلال سنتي 1804-1806م، ويذكر السيد ماتياكس أن هذا العدد تضاعف عشر مرات سنة 1811م وفي سنة 1807 تم تحويل المؤسسة التجارية بشرق الأيالة إلى بريطانيا.

1-4- بريطانيا:

كلف حاكم مالطا ألكسندر بال مفاوض أسكاديو للتفاوض مع الباى حول شراء الحبوب والمواشي لسكان مالطا والحامية الإنجليزية هناك وعند حصول مالطا على الموافقة سارعت إلى إنشاء هيئة تسعى إلى استغلال الحبوب في الشرق واستقرت هذه الهيئة في عناية وقامت الشركة البريطانية بتدعيمها وكان الهدف هو القضاء على السيطرة الفرنسية في البحر المتوسط، ونجد أن النصارى في الجزائر كان بينهم تنافس لتحقيق مصالحهم إلا أن هذا الوضع لم يسر به الفلاحين الجزائريين لأن سكان مالطا عددهم قليل لا يحتاجون إلى كميات كبيرة من من القمح وزالت الشركة المالطية بزوال الشركة البريطانية 1817م وظل اسكاديو يتاجر في عناية ويرسل الحبوب إلى مالطا في سفن إيطالية وهولندية تحمل الراية الجزائرية إلى غاية توقف هذا النشاط نهائيا في 1824م²، فقد حرصت إنجلترا على حماية مصالحها وعلاقتها مع دول شمال إفريقيا منذ صدور المرسوم الملكي في 22 أكتوبر 1626م والذي يمثل في عدم مضايقة البحارة والسفن الجزائرية وزاد توسعها التجاري في موانئ جديدة فلم تتأخر الدول الأوروبية في استخدام كل الطرق والوسائل في سبيل حماية مصالحها ورعاياها حتى لو كان تزويد الأيالة بالمعدات الحربية فقد أرسلت الشركة الإنجليزية في 03 جويلية 1687 سفينة محملة بالمدافع وهذا حسب ما ذكر في مذكرات بيول³.

وقد عملت الدول الأوروبية في تعزيز سيطرتها على الجزائر لجني الأرباح فتوجهت نحو إضعاف سلطة الداى في الداخل ونشر الإشاعات وإثارة الفتن وتحريك الثورات والتمردات، مثلما فعل الإنجليز في تحريك ثورة بن الأحرش، فنجد أن الرعايا المسحيين في الجزائر كانوا ينفذون مخططات بلدانهم لضرب الجزائر من الداخل، وهذا

¹ - عزيز سامح الت، المصدر السابق، ص 560.

² - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 136-138.

³ - بليل رهمونة، المرجع السابق، ص 221-222.

ساهم في التسرب الأجنبي إلى الداخل وإضعاف الدولة والقضاء على هيبتها¹، من أجل تحقيق مصالحهم على حساب الجزائريين، وحصل الإنجليز على امتياز صيد المرجان في 01 جانفي 1807 من الداى أحمد باشا تنص على استغلال عناية والقالة والتنازل على القل وجيجل مع حق استغلال المرجان. وسعت إنجلترا على إنشاء قواعد عسكرية في الشرق وهنا نجد ان أهل الذمة سعوا حتى الى إقامة قواعد عسكرية إلا أن محاولتها باءت بالفشل²، وحصلت الشركة الإنجليزية في 1824 على استغلال المرجان على طول الشريط الساحلي بما فيه السواحل الغربية مقابل إتاوة سنوية قدرت بـ 10 آلاف قرش و100 رطل من المرجان من النوعية الرفيعة وهذا أثار غضب الفرنسيين بوجود منافس قوي لهم في سواحل البحر المتوسط³. وما قضى على التجارة بين البلدين هو الحملات الإنجليزية على الجزائر 1816-1824م، فتمكنت فرنسا من استرجاع امتيازاتها بالإضافة إلى المشاكل التي كان يثيرونها الانجليز مثل شحن الحبوب والمؤونة لتأمين حاميات الانجليز في جبل طارق⁴.

1-5- هولندا:

كما أقام الهولنديون علاقات تجارية مع الجزائر وحذوا على خطى الانجليز في تزويد الايالة بكمية معينة من الكوابل والصواري والبارود سنويا وتشتري الجزائر الخزف الدلفي المشهور الذي نجده في قصور القصبه وبيوتها⁵، كما كان لهم قنصل في الجزائر لحماية مصالحهم وتجارتهم حيث نجد احد القناصل الهولنديون المتزوج بابنة القنصل السويدي وهو تاجر له نفوذ كبير على الداى نتيجة الهدايا التي كان يعطيه إياه، وقد تطورت الحياة الاجتماعية بين القناصل والتجار الأوربيين، فنجد تاجرا يدعى جورج لوجي يقود سفينة رافعا العلم السويدي وكان طرفا في معاهد السلام بين الجزائر والسويد ثم أصبح قنصلا سويديا واستطاع ان يشتري السفن المحتجزة تحت العلم السويدي كتاجر وكوكيل تجاري عام للداى واعتمد عليه الداى في كثير من التجارية للأيالة وكان جورج لوجي يقدم الهدايا لداى ووزرائه، وكان الداى يخاف هذا القنصل ولا يستطيع التخلي عن خدماته ويعتبر لوجي والد زوجة القنصل الدانماركي⁶، فتولى القناصل حماية التجار المسحيين المقيمين بالجزائر وحماية مصالح بلدانهم أيضا.

1-6- الدانمارك:

1- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المصدر السابق، ص 312.
2- بوشية ذهبية، المرجع السابق، ص 597-598.
3- بليل رهمونة، المرجع السابق، ص 236.
4- خديجة خالة، المرجع السابق، ص 72.
5- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 277.
6- جون ب وولف، المصدر السابق، ص 421-422.

كما تم عقد معاهدة بين الجزائر والدانمارك في 10 اوت 1746 من أجل أمن وسلامة التجار وعدم استرقاقهم ولا يفرض عليهم افتداء أي أسير حتى ولو كان قريبه إلا إذا كانت له الرغبة في ذلك كما تضمنت المعاهدة حرية التجارة المطلقة في بيع وشراء السلع التي يرغبون، فالتجار الأوربيون كانوا يتمتعون بحرية مطلقة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ويتبادلون السلع مع السكان كما يشاؤون وكانت هناك واسطة بينهم لأن التاجر الأوربي لا يتقن اللغة ومعظمهم من اليهود أو التجار الأحرار الأجانب أو المسحيين الصغار¹.

وزاد الاتصال المباشر بين التجار الأوربيين والأهالي عندما أصبحت لهم مراكز تجارية وأصبحت لهم مبادلات مع القبائل المجاورة، فكان يستورد الأوربيون القمح والجلود والشمع مقابل الأسلحة والبارود للقبائل، وهذا يشكل تهديدا على الدولة الجزائرية لحدوث تمرد من القبائل على السلطة ولهذا كانت السلطة المحلية تلعب دور الوسيط التجاري بين المؤسسات والتجار والأوربيين الأهالي²، وأن حماية المصالح التجارية للدول الأوربية خاصة الدانمارك والسويد كان وراء تأخر معاهدات الصلح بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر تهديدا لمصالح الدانمارك والسويد وارتبطت حماية مصالح التجارة الأوربية بالتوسع التجاري في ربوع الأيالة وموانئها واستغلال ثرواتها إما عن طريق التجار أو المؤسسات فكان للقناصل إقامة في المدن مثل الجزائر، عنابة، وهران³.

ومن الآثار المترتبة عن التجار الأوربيين والامتيازات الأوربية لأهل الذمة في الجزائر:

- انخفاض المستوى المعيشي للمجتمع الجزائري بسبب انخفاض أسعار المواد المصدرة من المنتجات الزراعية والفلاحية.

- إن الامتيازات التي حصلت عليها الدول الأوربية والتجار الأوربيون في الجزائر أعطت لهم صفة الاحتكار واعتبروها حقوق والأرض من ممتلكاتهم فأقاموا عليها مقرات عسكرية تهدد أمن الدولة⁴.

- تسببت الاحتكارات الأوربية للمواد الأساسية في تفشي الفقر والمجاعة والأضرار بالاقتصاد الجزائري حيث كانت تزود السوق الأوربية بالمواد الأولية أكثر من السوق الداخلية والأقطار الإسلامية.

- استنزاف ثروات البلاد بأسعار زهيدة.

- تساهلات الحكام مع التجار الأوربيين ساهموا في الإضرار بالتجارة الجزائرية⁵.

¹ - عطية الله راضية، المرجع السابق، ص 97.

² - خديجة حالة، المرجع السابق، ص 78.

³ - بليل رحومنة، المرجع السابق، ص 227-228.

⁴ - خديجة حالة، المرجع السابق، ص 86-87.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 76-77.

- الأرباح التجارية المستخرجة من الصادرات للبضائع منخفضة السعر لا تعود بالفائدة لصالح التجار الجزائريين وهذا ساهم في تأزم الوضع الاقتصادي في الجزائر¹.

إذا نجد تسامح الدولة الجزائرية والحكام الجزائريين مع أهل الذمة في التمتع بخيرات البلاد واستنزاف ثروات الجزائر وذلك بفتح المجال لهم في إقامة مراكز تجارية، والحصول على امتيازات حتى اعتبروا ثروات البلاد حقا مشروعاً لهم. واستنزفت تلك الثروات مثل قمح قسنطينة ومرجان عنابة الذي حمل بالسفن نحو الأسواق الأوروبية مقابل أسعار منخفضة وزهيدة في حين نجد الجزائريين كانوا يعانون من الفقر والتهميش وفي بعض الأحيان من المجاعة، وهذا ساهم في انصراف الفلاح الجزائري عن الفلاحة والتوجه في العمل كوكلاء للتجار الأجانب المسحيين.

1-7- الصادرات والواردات:

وتمثلت في المبادلات التجارية التي كانت تتم بطريقة بدائية لا تخضع إلى مراقبة الميزان التجاري فكانت الواردات أكبر من الصادرات في المواد الأساسية مثل الحبوب وكان التجار الأجانب والمؤسسات التجارية هي التي تشتري السلع من الأجانب²، وأهم صادرات الجزائر سنة 1822م

- الصوف التي قدرت ب 20 ألف قنطار بسعر 8 دولار للقنطار الواحد وكانت توجه نحو مرسيليا وليفورنة وجنوة.
- الجلود وكانت تصدر منها 10 آلاف قنطار بسعر 8 دولار
- الشمع يصدر منها 600 قنطار بسعر 30 دولار للقنطار الواحد.
- ريش النعام ومنتجات أخرى³، إضافة إلى صادرات أخرى مثل الزرابي والتمور وقماش يشبه الموسلين⁴.
- الحبوب وأنواعها والزيوت والتين اليابس ومقادير من البقول والحمضيات والخضر والفواكه... وتمثلت الواردات في الأقمشة الحريرية والكتنية والقطنية والعقاقير والأدوية والمجوهرات والروائح والآلات الحديدية من فرنسا.
- الأسلحة والعتاد والآلات الحديدية والمواد الكيماوية والسكر والقهوة من إنجلترا.
- الرصاص والكبريت والأغطية والمعادن الثمينة من اسبانيا.
- العتاد الحربي و مواد بناء السفن مثل الحبال والأشرعة من الدول الاسكندنافية⁵.

¹ - أندري برنيان، المرجع السابق، ص 157.

² - خديجة حالة، المرجع السابق، ص 82.

³ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 103.

⁴ - وليام سينسر، المصدر السابق، ص 144.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 81.

خلاصة:

من خلال ما تقدم نجد النشاط التجاري للنصارى في الجزائر على المستوى الداخلي والخارجي تميز بالتنوع. وأن التعامل التجاري كان مع النصارى تميز بالتسامح ووضعت تسهيلات لتجار النصارى في ممارسة نشاطهم بكل أريحية في الجزائر العثمانية وان فرنسا كانت من أكثر الدول الأوربية المحظوظة في الحصول على امتيازات في الجزائر ومقابل ذلك تقديم الهدايا الثمينة للحكام لتحقيق أهدافهم وحماية مصالحهم التجارية ورعاياها وإنشاء مؤسسات تجارية للانتفاع من خيرات البلاد مثل الحبوب والصوف والجلود.... وساعد ذلك هو حصول فرنسا على امتيازات اقتصادية في الجزائر مبكرا في عهد السلطان سليمان، فقد استخدمت فرنسا وساطة الباب العالي في تحقيق طموحها في إقامة مراكز تجارية مثل حصن الباستيون، وسعت دول أوربية أخرى في أن تحصل على امتيازات وحماية رعاياها ومصالحها التجارية مثل إنجلترا التي نافست فرنسا في مصالحها الاقتصادية في البحر المتوسط، واستفادت اسبانيا كذلك بعد توقيع معاهدة السلام مع الجزائر من امتيازات اقتصادية في الغرب الجزائري خلال القرن 18م، والدول الاسكندنافية، ولعب القناصل دورا بارزا ومهما في حماية الرعايا المسيحيين والأوربيين في الجزائر والدفاع عن مصالح بلدانهم، فكانوا أعين حكامهم في الجزائر وينقلون كل صغيرة وكبيرة عن البلاد.

2- الصناعة والحرف

لقد ظهرت في الجزائر خلال العهد العثماني صناعات متعددة ومختلفة اختلفت من منطقة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر فوجد الصناعة في المجتمع البدوي تختلف عن الصناعة في المجتمع الحضري¹، فكانت تهدف إلى سد الحاجيات الضرورية لسكان وازدهرت الصناعة في مطلع العهد التركي فكثرت الحرف والورش وازدحم الصناع، ويعود ذلك إلى اختلاف الفئات الاجتماعية، فقد اعتنى الأتراك بصناعة السفن بمختلف أحجامها وساعدها في ذلك المسيحيون من الأسرى والأحرار².

2-1- الصناعة التعدينية :

كان يشرف الأوربيون على سبك المدافع وتحضير الرصاص وبناء الجسور والتحصينات والمطاحن الهوائية فمعظم الصناع كانوا من المتعاونين الأسرى بالمسيحيين، فبعد تناقص عدد الأسرى لم يجد البايك من يقوم بإصلاح المطاحن الهوائية الواقعة في مدينة الجزائر أو إتمام جسر قسنطينة بعد انسحاب الأوربيين³، حيث يذكر الأسير الهولندي جيريميتيزون أن الحرف كان يمارسها العبيد والأسرى المسيحيين مثل الحدادة وصناعة الأقلعة وكانت تابعة للبايك⁴.

وبالرغم من علم الأتراك بوجود مناجم الرصاص والحديد والنحاس في الجزائر إلا أنهم لم يستغلوها إلا القليل، فكان يستخرج الحديد من منجمي برباشة قرب بجاية وجبل زكار قرب مليانة، وكان يعالج بفحم الحطب في فرن منخفض على غرار الطريقة القطلونية ثم يصب على شكل قضبان صغيرة ويحمل إلى أسواق بجاية والجزائر، وفي صناعة الرصاص على نطاق واسع في جبل بوطالب بالحضنة وكانت طريقة التعدين تتم بوضع طبقة من الحطب وأخرى من المعدن فوقها وهكذا ثم توقد النار في الكداس فينصهر الرصاص⁵، فبني فرن في حي باب الواد بمدينة الجزائر عرف بدار النحاس الذي اشتغل به الأسرى المسيحيين والالتجاء إلى تقنيينا أوربيين منهم المهندس الفرنسي دوبون f. du pont⁶، وكانت الإدارة العثمانية لها السلطة على بعض المواد والتي تعتبرها استراتيجية

¹ - حمزة قرين، المرجع السابق، ص 21.

² - عطية الله راضية، المرجع السابق، ص 89.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 65.

⁴ - فاتح بلعمري، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة رسالة دكتوراه. جامعة قسنطينة، قسنطينة، 2017، ص 311.

⁵ - أمين محرز، المرجع السابق، ص 180.

⁶ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 34.

لأنها مرتبطة بتموين الجيوش مثل الرصاص والحديد ... ولهذه الحرف تنظيمات وأمناء يسهرون على تسييرها بشكل حسن¹.

2-2- صناعة السفن:

إن نشاط القرصنة وركوب البحر جعل الأتراك العثمانيين يمتحنون اهتماما كبيرا لصناعة السفن بميناء خير الدين فاستوردوا الأخشاب ومواد التجهيز من أوروبا الشمالية خاصة هولندا ، واعتمدوا في اليد العاملة على الأسرى المسيحيين الذين كانت لهم الخبرة الكافية في هذا المجال²، فقد كانت أغلب المراسي الجزائرية تتوفر على ترسانة مجهزة لصناعة السفن والقوارب ومن أهم المراسي: شرشال، جيحل، عنابة.. ومنذ القرن 17م اهتم مرسى الجزائر بصناعة السفن المستديرة المتقدمة والقادرة على الإبحار في أعالي البحار وهذا التقدم الذي عرفته صناعة السفن يعود إلى التقنيات التي قدمها القرصان الفلامندي سيمون دانسا بفضل الطرق الحديثة التي استخدمها المهندس الفرنسي جوفراي أثناء فترة السلم بين الجزائر وفرنسا في عهد الداوي بابا حسن (ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، 1984، صفحة ص 65) فكانت المراكب الكبيرة تصنع على ساحل باب الواد والسفن الأقل حجما تصنع في ساحل باب عزون إضافة إلى ترسانة أخرى توجد داخل الميناء بجوار رصيف السفن قبالة باب الواد. ففي البداية كان عبارة عن شاطئ صغير ثم تحول إلى ترسانة لصناعة السفن الكبرى وترسانة شرشال تصنع فيها السفن الفرقاطة والبرغانطي والسفن البسيطة تصنع في ميناء الأزقاق المجاور لساحل مدينة عنابة. ونتيجة حاجة هذا النوع من الصناعات للمادة الأولية فإن الحكام عقدوا اتفاقيات مع بعض الدول مثل السويد والدانمارك تقدم الخشب وهولندا تقدم الحديد والنحاس والأسلحة والكبريت³

أما طاقم السفينة وتجهيزها، فكان رياس البحر في بداية الوجود العثماني يقتصر على الأتراك الذين استفاد منهم عروج وخير الدين. وبعد فترة أصبح الرياس معظمهم من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام⁴، وبعض الأسرى يوظفون في دار الصناعة بالجزائر أو بورشة بناء السفن وخارج أوقات العمل، فكانوا يسكنون حجرات خاصة تقع ضمن بنايات واسعة تشبه مهاجع الانكشارية⁵. ولم يكن العمال المسيحيون يعملون مجانا بل كانوا يتقاضون رواتبهم مقابل عملهم، فقد كانت تجمع أعمالهم وتحدد قيمتها وتدفع لهم بعد نهاية عملهم، وكان الكثير

¹ عبد القادر صحراوي، الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية وأنظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون الأسواق، الحوار المتوسطي، ص 90.

² علي عبد القادر حلمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل سنة 1830م، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1972، ص 299-300.

³ عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسستها. المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2007، ص 99-101.

⁴ عطية الله راضية، المرجع السابق، ص 91.

⁵ وليم سينسر، المصدر السابق، ص 156.

منهم يستعيدون حرياتهم من أجورهم التي كانوا يحصلون عليها من عملهم في ورشة صناعة السفن¹ ويقول خير الدين بربوس: " كان بعض البحارة الجزائريون يزورون إسطنبول لأول مرة ... انبهر البحارة عندما رأوا إسطنبول وتجولوا في مضيقها ... وكانت دهشتهم عظيمة لما رأوا المصنع السلطاني لبناء السف الذي كان يعج بعشراتآلاف من العمال"².

فقد حظيت صناعة السفن الحربية رعاية خاصة من طرف الحكام والسلطين والأمرء، وحتى الصناع والتقنيين والمهندسين الأسرى من مختلف الأعراق كانوا يتوافدون إلى ممارسة هذه الصناعة والعمل في ترسانة صناعة السفن للحصول على الغذاء وعتق رقابهم من العبودية كما ذكرنا سابقا. فكانوا يتصارعون بكل حماس ودون كلل لإنجاز أحسن الوحدات البحرية من ناحية الهندسة والتصميم والحمولة والقوة وهذا ما يؤكد الخبرة التي يملكونها في هذا المجال³. فقد اعتمدوا على المتعاونين المالطيين والفرنسيين والاسبان والمهندس الاسباني " مايسترو أنتونيو " الذي أوكل إليه التصرف في الترسانة البحرية 1800م وصنع فرقاطتين، والمهندس المرسيللي غزال الذي توفي في 1815م⁴

2-3- صناعة الأسلحة:

وتمثلت في صناعة البنادق والمدافع وتحضير البارود وتركز تواجدها في كل من بني راشد وقسنطينة والجزائر فنجد معمل قسنطينة للبارود يشغل به 20عاملا، وفي مدينة الجزائر توجد معامل أحدهما لتحضير البارود خارج باب الواد والآخر لصناعة المدافع وتشكيل القنابل ومع نهاية القرن 18م أصبح يتولاه الأوربيون منهم الفرنسي دبون 1775م DupontFrançois وتوقف هذا المصنع بسبب موت المهندس الإسباني المسؤول عنه⁵، وكان هناك مصنع للبارود تشرف عليه الحكومة بقسنطينة قرب القصبة يعمل به عشرون عاملا⁶، وقد عمل عدد قليل من الأوربيون على سبك المدافع وتحضير البارود خاصة في مدين الجزائر وقسنطينة وهذا حسب قائمة الصناع في المدافع بالجزائر العثمانية، فقد وجد اسم أوربي واحد وهو فرانسوا دبون كما ذكرنا سابقا، وهذا المصنع بين من قبل القنصل السويدي "سولتز" وعرف بثكنة ملح البارود، واستفاد باي الغرب الجزائري من بعض المهندسين الأعلاج

¹ - خير الدين بربوس، مذكرات خير الدين بربوس. تر: محمد دراج، ط2، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 155.

² - المصدر نفسه، ص 194.

³ - حلیم سرحان، صناعة السفن الحربية بالجزائر في العهد العثماني من خلال مخطوطات جامعة محمد بوضياف، ص 41.

⁴ - ناصر الدين سعديوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 65.

⁵ - المرجع نفسه، ص 66.

⁶ - ناصر الدين سعديوني، المرجع السابق، ص 34.

في صناعة الألغام والمتفجرات¹، وكان هناك مستودع للأسلحة الذي بني في 1573م واستطاع الجواسيس الإسبان أن يعرفوا عدد المدافع الموجودة في المدينة وكذلك تمكنوا من معرفة اسم المستودع الخاص بالأسلحة حيث توجد به 21 قطعة مدفعية منها 6 مدافع صغيرة مصنوعة من الحديد²، وكان يصنع البارود من مزج ملح البارود وفحم الدفلى والكبريت الذي كان يستورد من أوروبا أو يهرب من هناك لأنه محظور من طرف البابوية، ويستخرج ملح البارود من طرف البايك بيسر ومن مغارات عند سفح جبل أمال³، وكان يستخدم حديد زكار في صناعة البنادق كما تمكن سكان بوسعادة وجرجرة من استحضر البارود وصنع بنادق جيدة⁴

2-4- الصناعة التحويلية: وتمثلت في تحضير مواد البناء واستخراج الملح وصناعة العملة وقد اشتهرت الجزائر بتنوع صناعاتها التحويلية، فهي تحتوي على عدد كبير من أفران الجير والآجر ومقالع الحجارة المستعملة في بناء الحصون والأسوار، وكان الأوربيون قائمون على بناء التحصينات والجسور⁵، فقد استفاد البايكات من المهارة الحرفية للأجانب فوجد صالح باي استقدم مهندس اسباني من ماهون بالبليار يدعى بارتولومبو لإصلاح جسر القنطرة وشرع المهندس في عمله إلا أنه توقف بسبب عزل صالح باي⁶ واشتهرت الصناعة التحويلية في بعض المدن الجزائرية فكان يستخرج ملح النترات بأرزيو وتلمسان، وساهم الأسرى المسيحيون والمتطوعون الأوربيون في معالجة الجير وإقامة المطاحن الهوائية⁷

من خلال ما تقدم نجد أن المسيحيين سواء الأسرى أو الأحرار قد لعبوا دورا بارزا في الازدهار الاقتصادي بالجزائر العثمانية وخاصة في مجال الصناعة والحرف فقد تميزت الصناعة بالتنوع خاصة صناعة السفن التي اهتمت بها الجزائر والحكام وذلك لدورها الاستراتيجي في الدفاع والجهاد البحري ونقل البضائع.

2-5- مميزات الصناعة الجزائرية:

تميزت بمجموعة من الخصائص:

_ الاعتماد على المادة الأولية المتوفرة في البلاد الصوف، الجلود، الأخشاب.

¹ - خديجة حالة، المرجع السابق، ص 100.

² - شوفاليه كورين، المصدر السابق، ص 86.

³ - أمين محرز، المرجع السابق، ص 180.

⁴ - ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ص 34.

⁵ - عطية الله راضية، المرجع السابق، ص 93.

⁶ - خديجة حالة، المرجع السابق، ص 100.

⁷ - ناصر الدين سعيدي، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 67.

- __ كانت منظمة وخاضعة لنقابات مهنية التي كانت تسعى في المحافظة على أصول المهنة والحرص على جودة البضاعة وتحديد كمية الإنتاج.
- __ المنافسة لدخول المنتجات المستوردة وأدى هذا إلى غلاء أسعار المصنوعات الجزائرية.
- __ عدم انتهاج الحكومة سياسة الحماية الجمركية¹.

¹ - حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 158.

خاتمة

- من خلال ما تقدم حول أهل الذمة في الجزائر العثمانية والدور الاجتماعي الذي ساهموا فيه إضافة إلى الدور الاقتصادي نخلص إلى جملة من الاستنتاجات نذكرها فيما يلي:
- عرفت الجزائر خلال العهد العثماني العديد من الفئات المكونة للمجتمع الجزائري سواء على المستوى الجغرافي أو على المستوى العرقي أو على المستوى الديني.
 - تأثير اليهود في الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري من حيث استعمال الدارجة واللغة العامية بالرغم من تأثر اليهود بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري إلا أنهم لم يتخلوا عن معتقداتهم خاصة الدينية وكانوا متمسكين بها.
 - بالرغم من أن الشريعة اليهودية لم تعطي مكانة المرأة إلا أن المرأة اليهودية تمتعت بالحرية في المجتمع الجزائري وحتى أنه أصبح لها ممتلكات
 - تركت الدولة والحكام حرية التعليم لليهود وتعليم دياناتهم ولغتهم لأطفالهم بكل أريحية ومن دون أي ضغوطات
 - مارس اليهود العديد من النشاطات الاقتصادية الهامة، وهذا ما جعلهم يتميزون عن غيرهم حيث كانوا يحتكرون العديد من الصناعات.
 - مارس اليهود كل النشاطات المالية التي تعود عليهم بالأرباح وتحقيق الفائدة ومن بين هذه النشاطات افتداء الأسرى، سك العملة، النقل.
 - كانت مقاليد التجارة الجزائرية الداخلية والخارجية في هذه الفترة بين أيدي اليهود، وازداد تحكم اليهود في هذا المجال بعد تأسيس الشركة التجارية "شركة بكري وبوشناق".
 - لعب اليهود دور خطيرا في التجارة الداخلية والخارجية للجزائر وتمكنوا من السيطرة على الاقتصاد الجزائري، وهذا بسبب العلاقات الحسنة لليهود مع دايات الجزائر تمتع اليهود بحياة اجتماعية غلب عليها الحرية في ممارسة طقوسهم ومعتقداتهم.
 - حظي المسيحيون بمعاملة حسنة من طرف الطبقة الحاكمة من الأتراك أو من الأهالي.
 - كانت معاملة الأسير تتحكم فيها مكانته الاجتماعية في المجتمع الجزائري كان لباس وطعام تختلف على حسب الوظيفة والعمل.
 - لعب المسيحيين سواء الأسرى أو الأحرار دورا مهما في ازدهار وتنوع النشاط الصناعي والحرفي بالجزائر خاصة في بداية العهد العثماني.

- كانت العقوبات التي تفرض على الأسرى على حسب الجرائم المرتكبة قام الأسرى المسيحيون بالعديد من المهام من بينها مهام أسرى البايك ومهام أسرى الداى.
- أما فيما يخص النصارى فنجد أنه كانت لهم نشاطات اقتصادية متنوعة خاصة في مجال التجارة تعتبر فرنسا من أكثر الدول الأوروبية التي حظيت بامتيازات اقتصادية مثل صيد المرجان
- ظهور عدة مؤسسات تجارية فرنسية بالجزائر لاستغلال ثروات الجزائر خاصة في مجال الحبوببايالك الشرق
- دخول إنجلترا كمنافس قوي لفرنسا في توطيد علاقاتها التجارية مع دايات الجزائر.
- لعب النصارى دورا بارزا في الصناعة خاصة صناعة السفن وكان لهم الدور البارز في تطورها إن تناقص عدد الأسرى في الجزائر العثمانية أدى إلى تراجع النشاط الصناعي مثل الصناعة التعدينية والحربية مثل الأسلحة.



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تح: أبي البراء يوسف بن أحمد البكري، مج1، ط1، رفاذي للنشر، دمام، المملكة العربية السعودية، 1997.
- ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ط1، دار القلم، دمشق، سورية، 1996.
- ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار المعارف، ط1، القاهرة. د. ت.
- أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974
- ج. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس. د. ت.
- جون ب، وولف، الجزائر وأوروبا. تر: أبو القاسم سعد الله، ط5، دار الرائد، الجزائر، 2009.
- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تر: محمد العربي الزيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005
- خير الدين بربوس، مذكرات خير الدين بربوس. تر: محمد دراج، ط2، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- خير الدين بربوس، مذكرات خير الدين بربوس، تر: محمد دراج، ط2، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- كاثكارت، مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816_1826، تحق: إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبادية، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2006.
- قائمة المراجع:**
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1945)، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998.
- أبي الفتح ناصر الدين المطرزي، المغرب في ترتيب المغرب، تح: محمود فاحوري وعبد الحميد مختار، ط1، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سورية، 1979.
- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.
- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1695-1671)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- أندري برنيان، الجزائر بين الماضي والحاضر. تر: اسطنبولي رابع ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- جيمس ويلسن ستيفن، الأسرى الأمريكيان في الجزائر (1785-1797م)، تر: علي تابلت، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية الأبيار- الجزائر، 2007
- حلیم سرحان، صناعة السفن الحربية بالجزائر في العهد العثماني من خلال مخطوطات جامعة محمد بوضياف، -حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2008
- سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997.
- سلوى علي ميلاد، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1983
- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ط3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000
- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تع: أبو العبد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2007.
- عزيز سامح أتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، الجزائر، 1989.
- علي عبد القادر حلمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل سنة 1830م، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1972.
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997.
- فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14-15 ميلادي، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار-الجزائر. د ت.
- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- مبارك بن محمد الهلايلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني. (أحمد بن البار، المترجمون)، دار الأمة، الجزائر، 2021.
- محمد العربي الزبير، التجارة الخارجية للشرق الجزائري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر، بيروت، لبنان، مج10.

- ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب من القرن 16 إلى القرن 19م. جامعة الكويت، الكويت، 2010

- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2012

- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحباية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

- ناصر بن عبد الله القفاري، ناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط1، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1992.

- هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية، ط1، دار القلم، دمشق، 2002.

- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة، الجزائر، 2012.

قائمة الرسائل

- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2006.

- براهيم عليمة، زوادي دنيا، الدور السياسي والاقتصادي ليهود الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2020_2021.

- بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بوغفالة ودان، جامعة مصطفى اسطنبولي-معسكر، 2016

- بليروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في دار أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، إشراف بلقاسمي بوعلام، جامعة وهران، 2008.

- بليل رحمونة. القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية 1564_1830م. رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة وهران، وهران، 2010_2011

- بن عبد المولى علال، بن وليد يزيد، التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، مذكرة ماستر، إشراف جعفري مبارك، الجامعة الإفريقية، أحمد درارية، أدرار، 2018

- بن مولى علال، بن وليد يزيد، التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830 رسالة ماستر، جامعة أدرار، 2017-2018.

- بوشيبه دهبية، اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016.

- جبار قرافية وشعيب عثمان، يهود البلاط والاقتصاد في الجزائر العثمانية ودورهم في نهاية الأيالة 1791-1830، رسالة ماستر، جامعة الوادي، 2017-2018.

- جمعة بن قومار فئة اليهود في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830، مذكرة ماستر، إشراف نصير نواصر، جامعة غرداية 2019
- حمزة قرين، التجارة الخارجية للجزائر خلال العهد العثماني فرنسا وإمارة ليفورنة أنموذجا رسالة ماستر، جامعة المسيلة، المسيلة، 2018_2019.
- خديجة حالة، الجاليات الأوربية في الجزائر غبان العهد العثماني رسالة ماجستير. قسم التاريخ، جامعة أدرار، أدرار، 2013
- خديجة حالة، الجاليات الأوربية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700-1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف عبد الكريم بوصفان، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2013
- سلطاني نجاة، غراي سارة، المسيحيون في الجزائر خلال العهد العثماني بين المكانة والمعاملة خلال القرنين 18-19م، مذكرة ماستر، إشراف: فاتح بلعمري، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2022.
- شرفاوي أيمن، سالي ياسين، أهل الذمة في الجزائر خلال العهد العثماني "اليهود أنموذجا"، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019-2020
- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، مقارنة اجتماعية، اقتصادية، أطروحة دكتوراه، إشراف مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 2001
- عبد القادر كركار، يهود الجزائر وعلاقتهم بين الاندماج والمعاداة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2015_2016
- عطية الله راضية، المسيحيون بمدينة الجزائر وعلاقتهم بالسلكة والمجتمع خلال العهد العثماني رسالة ماستر، جامعة المسيلة، المسيلة، 2019_2020
- فاتح بلعمري، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة رسالة دكتوراه. جامعة قسنطينة، قسنطينة، 2017
- كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة ماجستير، إشراف دحو فقرور، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2008.
- نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830)، من خلال سجلات المحاكم الفرعية، مذكرة ماجستير، إشراف عائشة غطاس، كمية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2005
- قائمة المقالات العلمية:**

- الجباري عثمان، النشاط الاقتصادي لطائفة اليهود في مدينة الوادي أواخر القرن 19 على ضوء وثائق المحاكم الشرعية، مجلة البحوث والدراسات، العدد 14، جامعة الوادي في 2012.
- بلقاسم قرباش، بانباوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)، دراسات تاريخية، العدد 01، قسم التاريخ، جامعة معسكر، 2013
- رفيق تلي " السجون في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج 08، ع03، ديسمبر، 2022

- صديقي عبد الجبار (الطائفة المسيحية في المغرب الإسلامي تحت الحكم المرابطي: تعايش أم اضطهاد؟، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 7، ع 2، أكتوبر 2021.
- صفاح بوعلام، الحياة اليومية للأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة النشرس للدراسات التاريخية، مج 01، ع 02، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، الجزائر، 2022
- عبد الجليل رحومني، أوضاع أهل الذمة في الجزائر العثمانية من خلال " المجلة الإفريقية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، ع 21، 2019.
- عبد القادر صحراوي، الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية وأنظمة التعامل التجاري من خلال مخطوط قانون الأسواق. الحوار المتوسطي، د ت
- عمر لمغيشي، الأوضاع الاجتماعية للمرأة اليهودية المغربية إلى غاية نهاية القرن 19م، مجلة العلوم الاجتماعية، ديسمبر 2017.
- كمال بن صحراوي، اليهود الجزائريين بين الإدارة الفرنسية والحركة الصهيونية، جامعة تيارت، الجزائر. د ت
- محمد دادة، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليهود الجزائر في الفترة العثمانية. مجلة عصور جديدة، العدد 10، 2013.
- معوشي أمال، ملامح من الحياة الاجتماعية والثقافية ليهود الجزائر خلال العهد العثماني 1516_1830، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، مجلد 34، العدد 1، 2020.
- نصيرة نواصر، لمحات عن الوضع التجاري في أقاليم الجزائر أواخر العهد العثماني. مجلة البحوث التاريخية، المجلد 6، العدد 2، 2022
- هشام بوبكر، عياشي بلقاسم، "جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية"، مجلة الآفاق العلوم، جامعة الخلفة، ع 07، 2017



الفهارس

شكر وعرهان

أ

مقدمة

الفصل التمهيدي: فئات المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

05

أولاً: سكان المدن والأرياف

05

1- سكان المدن

05

1-1- فئة الأتراك

05

1-2- الكراغلة

06

1-3- الأعلاج

06

1-4- الحضر

07

2- فئة البرانية

07

3- سكان الريف

07

3-1- قبائل المخزن

07

3-2- قبائل الرعية

08

3-3- قبائل الأحلاف المتحالفة

08

3-4- قبائل الممتنعة

09

ثانياً: اهل الذمة من اليهودي والنصارى

09

1- تعريف أهل الذمة

10

2- فئة اليهود

13

3- فئة المسيحيين

الفصل الأول: دورهم الاجتماعي والاقتصادي في الجزائر العثمانية

18

المبحث الأول: الدور الاجتماعي

18

1- مكانة اليهود في المجتمع الجزائري

19

1-1- اللباس

20

1-2- الزواج عند اليهود

20

1-3- السكن

21

1-4- المرأة اليهودية

21	5-1- الحياة الثقافية (التعليم)
22	2- علاقاتهم الاجتماعية
23	2-1- مع السلطة
24	2-2- علاقة اليهود بالأتراك
25	2-3- علاقة اليهود بالسكان
27	2-4- علاقة اليهود باليهود
27	2-5- علاقة اليهود بالأجانب والدول الأوروبية
29	المبحث الثاني: الدور الاقتصادي
29	1- الصناعة والحرف
29	1-1- الصياغة
29	1-2- العطاراة
30	1-3- الحرارة
30	1-4- القزاةة
30	1-5- الخياطة
31	1-6- حرف أخرى
31	2- النشاطات المالية
31	2-1- افتداء الأسرى
32	2-2- سك العملة
33	2-3- النقل
34	3- التجارة
34	3-1- التجارة الداخلية
35	3-2- التجارة الخارجية

الفصل الثاني:النصارى ودورهم الاجتماعي والاقتصادي

38	المبحث الأول: الدور الاجتماعي للمسيحيين الأسرى "أنموذجا"
38	1- وضعية الأسرى
38	1-1- معاملة الأسرى
40	1-2- لباسهم وطعامهم
42	1-3- العقوبات

42	2- مهام الأسرى
42	2-1- مهام أسرى الداى
43	2-2- مهام اسرى الباىلك
44	المبىء الثاني: الدور الاقءصاءى
44	1- التجارة
44	1-1- فرنسا
46	1-2- إءطاليا
47	1-3- إسبانيا
48	1-4- برىءانيا
49	1-5- هولندا
50	1-6- الدانمارك
51	1-7- الصاءراء والوارءاء
53	2- الصناءة والءرف
53	2-1- الصناءة العءىنىة
54	2-2- صناءة السفن
55	2-3- صناءة الأسلءة
56	2-4- الصناءة الأءوىلىة
56	2-5- ممىزاء الصناءة الجزائرىة
59	الءاءمة
62	قاءمة المصاءر والمراءع
68	فهرس المءءوىاء
	ملءص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني تنوعا في تركيبة المجتمع الجزائري، الذي شهد تعايش بين فئاته عرقيا أو دينيا، وخاصة أهل الذمة الذين عاشوا بسلام وتمتعوا بحرية في ممارسة طقوسهم الدينية والمحافظة على ممتلكاتهم، لأن الإسلام ضمن حقوقهم ووضع أحكام في التعاملات مع أهل الذمة. وسلطنا الضوء في هذه الدراسة على اليهود والنصارى ودورهم الاجتماعي من خلال التطرق إلى مكانتهم في المجتمع وعلاقتهم الاجتماعية في الجزائر العثمانية، كما تناولنا الدور الاقتصادي لهم من خلال معرفة الجانب الصناعي وأهم الحرف والصناعات التي شغلوها وكذلك الجانب التجاري والنشاطات التجارية التي مارسها اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني.

Summary:

.During the Ottoman era, Algeria had a diversity in the composition of Algerian society, which had witnessed the coexistence of its ethnic or religious groups, especially the people who lived peacefully and enjoyed the freedom to practise their religious rituals and preserve their property, because Islam was within their rights and to make provisions in dealings with the people.

In this study, we highlighted Jews and Nazaritis and their social role by addressing their place in society and their social relationship in Ottoman Algeria. We also addressed their economic role by knowing the industrial aspect, the most important crafts and industries they occupied, as well as the commercial aspect and business activities of Jews and Nazaritis in Algeria during the Ottoman era.